

بدیع الزمان
سعید النورسی

ترجمہ
احسان قاسم الصالحی


مرشد أهل القرآن
إلى حقائق الإيمان



اسم الكتاب: مرشد أهل القرآن الى حقائق القرآن
اسم المؤلف: بديع الزمان سعيد النورسي
اسم المترجم:إحسان قاسم الصالحي
اسم المطبعة: مطبعة اوفسيت منير – بغداد- العراق
الطبعة : الأولى – ١٩٩٠م

من كليات رسائل النور

مرشد أهل القرآن

إلى حقائق الإيمان

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

احسان قاسم الصالحي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يبقى « النورسي » من بين الكتّاب الاسلاميين اكثرهم اهتماماً بأساسيات الايمان وقضاياه الغيبية لما بعد الموت، فقد هيمنت هذه القضايا على تفكيره واستأثرت بوجدانه منذ كان طفلاً يرقب عن كثب ظاهرة الموت، وعجز بني البشر عن دفعه عنهم، فبدأ اهتمامه في سن مبكرة جداً بمعنى الموت والحياة، وسر الفناء والبقاء، وظلّ هذا الهاجس يلازمه طوال حياته مما جعله يتميز بابداعاته في هذا المضمار الذي يكاد ينفرد به دون سواه.

وكانت مسألة الوجود ـ وجوده الذي يحرص على بقائه وخلوده ـ والعدم ـ الذي يخافه ويشفق منه ـ هي نقطة الانطلاق في البحث عن كل ما يسند هذا الوجود ويحفظه ويمنحه القوة على مغالبة العدم والانتصار عليه. فلم يعثر في غير الدين ـ من مذاهب وافكار وفلسفات ـ على ما يمنح وجوده ذلك الخلود الذي يشتاقه ويتوق اليه، هو وكل انسان على هذه الأرض.

وكان من الطبيعي ـ وقد وجد ضالته في الايمان والاسلام ـ ان يحسّ بروح الخلود سارياً في كيانه كله، ومشيعاً في وجوده خارقة الفهم لحقيقة الزمن الأخروي الذي يرتبط أحد طرفيه بالانسان، وطرفه الآخر بالأبد، فلا عجب اذا ما غدت العلاقة بين الانسان والأبد ـ منذ هذا الاحساس ـ ميدان قلم «النورسي» في رسائله البالغة ثلاثين ومئة رسالة.

فانقاذ الانسان من العدم هو المحور الذي تدور عليه الرسائل، فقد استطاع «النورسي» البرهنة من خلالها على ان الوجود الحي يستمد حياته من اسم الله «الحي» بينما «العدم» أمر اعتباري لا وجود له، وان الانسان بلطائف تكوينه مخلوق للخلود، وأما «الموت» الذي يصيبه فهو لباس موقت لا يلبث أن يتجرد منه ويلبس بدلاً عنه ثوب البقاء والخلود، وان «الغيب» عالم الحق والطهر والقداسة عالم مهيب وجليل وهو قائم فعلاً، وانه يلهم ـ بحكم ارتباطه بالكون ـ بعض من يريد من البشر بعض ما يريد من حقائق الاشياء، وان تلقي المعارف الإلهية المتنزلة على الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أمر ممكن بل لازم من لوازم الألوهية والربوبية التي ليس من شأنها ترك مربوبيها هملاً دون توجيه، أو دون التعريف بنفسها أو التعريف بآياتها المنتشرة في كل مكان من هذا العالم.

وظلَّ « النورسي » يتوغل بقلمه في هذه القضايا الإيمانية ، ويكتب فيها بأستاذية نادرة ، حتى غدت « رسائل النور » بمجموعها قوة عظيمة من قوى الاقناع بمصداقية الغيوب التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولكونها أحاطت بجميع مراتب الغيبيات ابتداءً بالملائكة وانتهاءً بالقيامة والنشر والحشر واليوم الآخر ، لذا فقد تكاملت شخصيتها المعنوية ، وتوضحت ملامحها ، وتعمقت سماتها المميزة ، حتى ان « النورسي » كاتبها نفسه يتعامل معها وكأنها ذات منفصلة عن ذاته ، وشخصية مستقلة عن شخصيته ، وكيان مباين لكيانه ، وفكر يرفد فكره ، وعقل يغني عقله ، وهذا أمر غريب لم يسبق لمفكر من المفكرين أنْ تعامل مع نتاج فكره كما تعامل « النورسي » مع فكره . فهو استاذ عظيم حين يكتب أفكاره ، أو يمليها على الآخرين ، ولكن ما إنْ ينتهي منها حتى يعود تلميذاً لها . يتتلمذ عليها ، ويجلس منها مجلس التلميذ من استاذه ، فيتدارسها ، ويستشهد بها ، ويحيل عليها ، ويطلب من طلابه ان يتعلقوا بها ، ويفيدوا منها ، ويأبى عليهم التعلق بشخصه ، أو الالتفات اليه ، ويعلمهم دائماً ان « رسائل النور » هي استاذهم الحقيقي ، وانه على استعداد - كما يقول - ليموت في سبيلها ، ويتلقى من أجلها صنوف الأذى والعذاب ، ولكنه لا يرضى أن يمسها أحدٌ بسوء ، أو يحجبها

عن طالب، أو يمنعها قارئاً، لأنها ملاذ الايمان والمؤمنين، وحصنهم الحصين، وسلاحهم الذي يفلُّ سلاح أعداء الايمان والدين.

وطبيعي جداً ان يرى «النورسي» «رسائل النور» استاذاً عظيماً لا مناص من الأخذ عنه والتتلمذ عليه، لأنه لم يورد في هذه الرسائل تصورات فكرية، أو مُرَجّحات عقلية، قد يصدق بعضها ويخطئ بعضها الآخر، وإنما كتب فيها ما رأى وشاهد وجرّب، وبلغ عنده حدّ اليقين الذي لا يمكن ان يقبل الخطأ، فما تتضمنه الرسائل يقينيات لم تبلغ حدّ اليقين عنده قبل اختبار قدرتها على بناء نفسه، واقامة كيانها المنقض، وقبل اختبار فاعليتها على مسح جراحات روحه، ورتق انشقاقات وجدانه، وهي بعد ذلك يقينيات مستمدة من اليقين الأعظم وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما من أحد كائناً مَنْ كان. ولو كان «النورسي» نفسه كاتب هذه الرسائل ـ الاّ ويشعر ـ بين الفينة والفينة ـ بالحاجة إلى الرجوع اليها والنظر فيها ومدارستها والاستشهاد بها على ما يعن له من مسائل الدين والايمان.

إن قدرة «النورسي» على الفصل بين ذاته وموضوعه في «رسائل النور» قلّما يقوى عليه مفكر وجداني من المفكرين الوجدانيين.

لان الفكر الوجداني متعلق بالذات وبأحاسيس هذه الذات

ومشاعرها، بحيث يصعب انفصاله عنها أو تحرره منها، ولكنَّ «النورسي» لكونه مفكراً يمزج بين شفافية الوجدان وصرامة العقل والمنطق فيما يكتب، فقد استطاع أن يسكب ذاته في فكره ثم يدفع بهذا الفكر ليستقل بنفسه خارج ذاته، وكأنه غريب عنه يحاوره ويستشيره حين يحتاج اليه، وهذا هو سرّ دعوة طلابه ليتتلمذوا على «رسائل النور» لا على شخصه، ويلتفوا حولها لا حوله.

صحيح ان بعضاً من المفكرين قد عاشوا أفكارهم، ولازموا معتقداتهم، واعتمدوها في أخلاقياتهم وسلوكهم، لكنَّ أحداً منهم لم يقف من فكره موقف التلميذ من أستاذه لأن أحداً منهم لم يبلغ فكره عنده درجة اليقين الذي لا يقين قبله أو بعده.

غير ان أفكار «النورسي» يقينيات مجربة أثبتت قدرتها على التفاعل مع النفس وعلى اختراق حصونها، وتنشيط خلاياها الإيمانية، واستئصال اية تورمات كفرية متفسقة فيها، وبذلك أصبحت جديرة بالأستاذية التي منحها إياها صاحبها «النورسي».

ومعارف «النورسي» الايمانية في رسائله معارف قرآنية بالاساس، لها انعكاساتها وتجلياتها في جسم الكون الذي لا يمكن تجريده من عنصر العقل المنطوي على هذه المعارف، والتي لا مانع من انتقالها ـ بالبحث والتنقيب ـ الى عقل الانسان ووجدانه كما

تنتقل المعارف بين العقول، حيث يسند المعقول الكوني المنقول القرآني ويؤيده ويقويه، ثم يشكلان من توحدهما المعرفة الايمانية العتيدة الموثقة بالدليل العقلي الكوني، كما هي عند «النورسي» في كل رسائله...

فرسائله إنما ترسي لدى دارسيها قاعدة في ضرورة الفهم عن القرآن والكون معاً، ثم تترك لهم الخيار في كيفية هذا الفهم ودرجته وقوته بحسب ظروفهم الزمانية والمكانية.

ولقد استطاع «النورسي» - بحثّ طلابه في كل مناسبة على اتخاذ «رسائل النور» استاذاً لهم بدلاً منه - تجنب الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الاساتذة والشيوخ حين تركوا طلابهم ومريديهم يتعلقون ببريق أشخاصهم، ويلتفون حول جاذبية ذواتهم، فسرعان ما انفرط عقدهم وتشتت شملهم بعد موت اساتذتهم وشيوخهم بمدة وجيزة، لأنهم لم يجعلوا الفكر عقد انتظامهم، وقاعدة اجتماعهم، بينما ظلّ (طلاب النور) بعد موت أستاذهم كما كانوا في حياته، لم ينفرط لهم عقد، ولم يتفرق لهم شمل، لاجتماعهم على فكر «رسائل النور» التي تركها «النورسي» وراءه. وهذه هي احدى خوارق (رسائل النور) حيث ما فتئت تجمع حولها الطلاب رغم مرور أكثر من ربع قرن على وفاة كاتبها رحمه الله تعالى.

وبعد:

أرجو أن أكون قد وفقني الله تعالى - في هذه العجالة - الى لفت نظر القارئ الكريم الى استاذ عظيم جعل كل همه ارشاد أهل القرآن الى حقائق الايمان، وحثهم على احترام الفكر الايماني واعتباره الحياة التي لا غنى لحياتهم الايمانية عنها، وانه يموت ويتوارى بينما يبقى فكره حياً في رسائله يغني افكار المتتلمذين عليه، وينير وجدانهم، ويضيء ضمائرهم.

اديب ابراهيم الدباغ

ملاحظة:

لقد كان الاستاذ النورسي على ارتباط وثيق مع طلابه رغم شدة المضايقات وصرامة العوائق، فكان يبعث اليهم بتوجيهاته ورسائله الخاصة من المنفى والمعتقلات، بشتى الوسائل والطرق.. ثم جُمعت هذه الرسائل الخاصة فاصبحت ثلاثة كتب اطلقت عليها «الملاحق». وقام تلميذه الأمثل زبير گوندوز آلب بجمع فقرات من تلك الملاحق ومستلات من رسائل اخرى، وضمها في كتاب سمّي بـ «خدمت رهبري» ترجمناه تحت عنوان «مرشد اهل القرآن الى حقائق الايمان»، بعد القيام بما يستوجب من تبويب وتنسيق ووضع للعناوين وبيان للمصادر.

المترجم

اقرب طريق الى الله

* للوصول الى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة، وسبل عديدة ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. الا ان بعض هذه الطرق أقرب من بعض واسلم واعم.

وقد استفدت من فيض القرآن الكريم - بالرغم من فهمي القاصر- طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو:

طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر.

نعم! ان العجز كالعشق طريق موصل الى الله، بل اقرب واسلم، اذ هو يوصل الى المحبوبية بطريق العبودية.

والفقر مثله يوصل الى اسم الله «الرحمن».

وكذلك الشفقة كالعشق موصل الى الله الا انه انفذ منه في السير واوسع منه مدى، اذ هو يوصل الى اسم الله «الرحيم».

والتفكر ايضاً كالعشق الا انه اغنى منه واسطع نوراً وارحب سبيلاً، اذ هو يوصل السالك الى اسم الله «الحكيم».

وهذا الطريق يختلف عما سلكه اهل السلوك في طرق الخفاء - ذات الخطوات العشر كاللطائف العشر - وفي طرق الجهر - ذات الخطوات السبع حسب النفوس السبعة - فهذا الطريق عبارة عن اربع خطوات فحسب، وهو حقيقة شرعية اكثر مما هو طريقة صوفية.

ولا يذهبن بكم سوء الفهم الى الخطأ. فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير انما هو اظهار ذلك كله امام الله سبحانه وليس اظهاره امام الناس.

اما اوراد هذا الطريق القصير واذكاره فتنحصر في:

اتباع السنة النبوية..

والعمل بالفرائض، ولا سيما اقامة الصلاة باعتدال الاركان والعمل بالاذكار عقبها..

وترك الكبائر.

اما منابع هذه الخطوات من القرآن الكريم فهي:

﴿ فلا تُزكّوا انفُسَكم ﴾ (النجم:٣٢) تشير الى الخطوة الاولى.

﴿ ولا تكونوا كالذين نَسُوا اللهَ فأنساهُم أنفُسَهم ﴾(الحشر:١٩) تشير الى الخطوة الثانية.

﴿ ما اصابكَ مِن حسنةٍ فمن الله، ومَا اصابكَ مِن سيئةٍ فمِن نفسِك ﴾ (النساء:٧٩) تشير الى الخطوة الثالثة:

﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ الاّ وجهَهُ ﴾ (القصص:٨٨)، تشير الى الخطوة الرابعة.

وايضاح هذه الخطوات الاربع بايجاز شديد هو:

الخطوة الاولى:

كما تشير اليها الآية الكريمة ﴿ فلا تزكوا انفسكم ﴾ وهي: عدم تزكية النفس. ذلك لان الانسان حسب جبلّته، وبمقتضى فطرته، محبٌ لنفسه بالذات، بل لا يحب الا ذاته في المقدمة. ويضحي بكل شئ من اجل نفسه، ويمدح نفسه مدحاً لا يليق الا بالمعبود وحده، وينزّه شخصه ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه اصلاً ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما اودعه الله فيه من اجهزة لحمده سبحانه وتقديسه الى نفسه، فيصيبه وصف الآية الكريمة: ﴿ من اتّخذ الهَه هوَاه ﴾ (الفرقان:٤٣) فيعجب بنفسه ويعتد بها. فلابد اذن من تزكيتها فتزكيتُها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها.

الخطوة الثانية:

كما تلقّنه الآية الكريمة من درس: ﴿ **ولا تكونوا كالذين نَسُوا الله فأنساهُم انفُسَهم** ﴾. وذلك: ان الانسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فاذا ما فكر في الموت صرفه الى غيره، واذا ما رأى الفناء والزوال دفعه الى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، اذ مقتضى النفس الامارة انها تذكر ذاتها في مقام اخذ الاجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي:

العمل بعكس هذه الحالة، اي عدم النسيان في عين النسيان، اي نسيان النفس في الحظوظ والاجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

والخطوة الثالثة:

هي ما ترشد اليه الكريمة: ﴿ **ما اصابكَ من حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وما اصابكَ مِنْ سيئة فمن نفسك** ﴾ وذلك: ان ما تقتضيه النفس دائماً انها تنسب الخير الى ذاتها، مما يسوقها هذا الى الفخر والعجب. فعلى المرء في هذه الخطوة ان لا يرى من نفسه الا القصور والنقص

والعجز والفقر، وان يرى كل محاسنه وكمالاته احساناً من فاطره الجليل، ويتقبلها نعماً منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة. فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر هذه الآية الكريمة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (الشمس:٩).

وهي ان تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها، (اي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها امام الله، وغناها في فقرها اليه).

الخطوة الرابعة:

هي ما تعلمه الآية الكريمة: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ الا وَجْهَهُ ﴾.
ذلك لان النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدّعي نوعاً من الربوبية، وتضمر عصيانا حيال معبودها الحق. فبادراك الحقيقة الاتية ينجو الانسان من ذلك وهي: كل شئ بحد ذاته، وبمعناه الاسمي: زائل، مفقود، حادث، معدوم، الا انه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود.

فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: ان عدمها في وجودها

ووجودها في عدمهـا، اي اذا رأت ذاتها واعطت لوجودها وجوداً، فانها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها. يعني اذا غفلت عن موجدها الحقيقي وهو الله، مغترة بوجودها الشخصي فانها تجد نفسهـا وحيدة غريقة في ظلمـات الفراق والعدم غير المتناهية، كأنها اليراعـة في ضيائهـا الفردي البـاهت في ظلمات الليل البهيم. ولكن عندما تترك الانانية والغرور ترى نفسها حقاً انها لا شئ بالذات، وانما هي مرآة تعكس تجليـات موجدها الحقيقي. فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات.

نعم، من يجد الله فقد وجد كل شئ، فمـا الموجودات جميعها الا تجليات اسمائه الحسنى جل جلاله.

فقر الانسان وضعفه

* ان حياتي بضعفها وعجزها وفقرها واحتياجها، تؤدي مهمة مرآة عـاكسة لقدرة خـالق الحياة وقوته وغناه ورحمته. اذ كـما تُعلم درجـات لذة الطعـام بمقـدار الجوع، وتُعلم مـراتب الضـوء بمراتب الظلام، وتُعلم درجات الحرارة بمقياس البرودة. كذلك عرفتُ بالعجز والفقر غير المحدودين الكامنين في حياتي القدرةَ المطلقة لخالقي

ورحمته الواسعة حيث ازالة حاجاتي التي لا تنتهي ودفع اعدائي الذين لا يعدون. فعلمت وظيفة العبودية وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء والتذلل.

ضرورة اتباع السنة النبوية

• (اعلم) اني شاهدت في سيري في الظلمات، السنن السنية نجوماً ومصابيح، كل سنة، وكل حدٍّ شرعي يتلمع بين مالا يحصر من الطرق المظلمة المضلة، وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين، ومَركب الاوهام، ومعرض الاهوال، ومطية الاثقال ـ امثال الجبال ـ التي تحملها السنةُ عنه لو اتبعها.

وشاهدت السنن كالحبال المتدلية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استصعد واستسعد، ورأيت من خالفها واعتمد على العقل الدائر بين الناس، كمن يريد أن يبلغ اسباب السماوات بالوسائل الارضية فيتحمّق كما تحمّق فرعون بـ ﴿يا هامان ابن لي صرحاً﴾ (غافر:٣٦).

التفكر نور

● ان التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الاوهام المظلمة اليابسة، لكن اذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهّل وتغلغل وفصّله تفصيلاً بمقتضى الاسم « الباطن » المتعمق. اذ كمال الصنعة اتمّ في تحليله وتفصيله..

واذا تفكرت في الآفاق، فاجمِل واسرع ولا تغص ولا تخض إلا لحاجة ايضاح القاعدة ، ولا تحدد النظر، كما هو مقتضى الاسم « الظاهر» الواسع اذ شعشة الصنعة اجلى وابهر واجمل في اجماله ومجموعه، ولئلا تغرق فيما لا ساحل له.

ابدأ بنفسك

ذكرى وعبرة

* في هذه الأوقات التي نجد فيها الضيق والعنت، تزعجني نفسي الجزعة الفارغة من الصبر، فاسكتتها هذه الفقرة، والزمتها الحجة، ودفعتها الى الشكر لله.

أقدم هذه الفقرة الموضوعة فوق رأسي طي رسالتي هذه لعلها تفيدكم أيضاً.

١ـ يا نفسي! لقد أخذت نصيبك من الأذواق أزيد مما أخذها تسعون بالمئة من الناس. فلم يبق لكِ بغية فيها.

٢ـ انك ترومين دوام الأذواق وبقاءها وهي فانية آنية، لذا تبكين عشر ساعات عن ضحك دام دقيقة واحدة.

٣ـ ان المظالم التي أتت عليك، والمصائب التي نزلت بك، تنطوي على عدالة القدر. فيظلمونك لما لم ترتكبيه، بينما القدر يؤدبك بيد تلك المصيبة ـ بناء على أخطاء خفية ـ ويكفّر عن خطاياك.

٤ـ يا نفسي الجزعة! لقد اقتنعت قناعة تامة ـ بمئات من تجاربك ـ ان المصائب الظاهرية ونتائجها تنشق عن ثمرات عناية إلهية في منتهى اللذة. فالآية الكريمة: ﴿ وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ تلقن درس حقيقة يقينية. تذكّري دائماً هذا الدرس القرآني. ثم ان الناموس الالهي الذي يدير عجلة الكون، ذلك القانون القدري الواسع العظيم لا يبدّل لأجلك.

٥ـ «*من آمن بالقدر أمِنَ من الكدر*». اتخذي هذا الدستور السامي دليلاً، لا تلهثي وراء لذائذ موقتة تافهة كالطفلٍ الغرير. فكري دوماً: ان الأذواق الفانية تورث فيك حسرات وآلاماً معنوية، بينما الآلام والمشقات تورث لذائذ معنوية وأثوبة أخروية. فان لم تكوني بلهاء يمكنك ان تتحرى الاذواق الموقتة للشكر وحده، وما أُعطيت اللذات الاّ للشكر.

نفس امارة ثانية

«مسألة دقيقة كتبتْ تنبيهاً لأحد اخواننا الذي

لم يرَ تقصيره، نرسلها لكم علّها تنفعكم كذلك»

رأيت ـ في وقت ما ـ لدى عدد من الأولياء العظام ـ ممن نجوا من أوضار نفوسهم الامارة بالسوء مجاهدات نفسية، وشكايات منها.

فكنت أحار في الأمر كثيراً، ولكن بعد مدة طويلة رأيت ان هناك نفساً امارة معنوية - مما سوى النفس الأمارة الحقيقية ووسائلها - هي أشد عصياناً من الأولى وأكثر نفوراً من الطاعة، وأكثر ادامة للاخلاق الذميمة، هي النفس الثانية، وهي مزيج من الهوس والمشاعر والطبائع، وهي موغلة في الاعصاب والعروق، وهي الحصن الأخير الذي تحتمي به النفس الأمارة، وهي التي تتولى القيام بوظيفة النفس الأمارة السيئة السابقة - التي تزكّت منها - فتجعل المجاهدة تستمر الى نهاية العمر.

وأدركتُ حينها ان اولئك الأفذاذ الميامين ما كانوا يشكون من النفس الأمارة الحقيقية، بل من نفس امارة مجازية. ثم شاهدت ان الامام الرباني احمد الفاروقي السرهندي ايضاً يخبر عن هذه النفس المجازية.

ولما كانت حواس هذه النفس الامارة الثانية عديمة الشعور، عمياء لا تبصر، فلا تفهم أقوال العقل ولا تدرك نصائح القلب، ولا تعير لها سمعاً كي تنصلح وتدرك تقصيراتها، لذا لا ترتدع عن السيئات الا بلطمات التأديب وصفعاتها وبالآلام، أو بالتضحية التامة بحيث يضحي المرء بمشاعره وحواسه كلها للهدف الذي

يصبو اليه فيترك انانيته كلياً، بل كل ما يملكه لذلك الهدف، كما تركه طلاب النور الخواص.

وفي هذا العصر العجيب، تتفق النفسان الأمارتان (الحقيقية والمجازية) معاً بتلقينات رهيبة، حتى تدفعا الانسان ليدخل في السيئات والآثام طوعاً وبرغبة منه، تلك السيئات التي ترتعد من شناعتها الكائنات.

حتى انني - في غضون دقيقة واحدة - وبضيق قليل جداً فوتُّ حسنة عظيمة جداً.

وقد حدث ذلك ضمن مجاهدة معنوية عظيمة خلال عشر دقائق، عندما كان احدهم وهو في صفي يخترق صفوف أعدائي ويشقهم شقاً كمن يرميهم بمدافع ثقيلة عظيمة. فتحيّنت تلكما النفسان الامارتان فرصة الغفلة موقتاً واتفقتا معاً، فشَعرتُ بميل نحو اقبح رياء وحسد؛ اذ قلت: «لِمَ لمْ ارم القذائف أنا؟» وما شابهها من المشاعر الظالمة المظلمة، بدلاً من شكران وشكر عظيمين!

فالف شكر وشكر للبارئ الكريم سبحانه ان (رسائل النور) ولاسيما رسائل الاخلاص ازالت كلياً دسائس كلتا النفسين وضمدت الجراحات التي ولدتاها، مثلما ازالت الحالات التي

حدثت في دقيقة واحدة، وفي عشر دقائق ازالة تامة والحمد لله. فعرفت تقصيري - تلك المعرفة التي هي استغفار معنوي - ونجوت بفضله تعالى من العذاب والآلام التي هي جزاء معجل لذلك الخطأ.

حوار مع النفس

• اخواني الأوفياء الصادقين الاعزاء!

اولاً: لقد خطر ببالي ان اكتب لكم، لإطلاعكم على ما جرى من مناظرة خاصة مع نفسي، وهي الآتي:

ان اللوحة المعلقة فوق رأسي - المعروفة لديكم - تخرس نفسي الأمارة وتلزمها الحجة تماماً، ولكني - في هذه الليلة - تعرضت لهجوم شنته دوافع مشاعري واحاسيسي العمياء التي تستعمل سلاح النفس الامارة باصرار أكثر، فأثرت تأثيراً بالغاً في عروقي واعصابي، وأنا أعاني من حالة عجيبة تولدت من آلام الأمراض وتألمات الاسقام ورهافة الحس، فضلاً عن القاءات الشيطان وايحاءاته، وحب الحياة المغروز في الفطرة.. ففي خضم هذه الحالات هاجمت تلك الأحاسيس والمشاعر العمياء قلبي وروحي، موحية باحتمال وفاتي ومغادرتي الحياة الدنيا. فنشرت يأساً قاتماً وتألماً عميقاً وحرصاً شديداً على الحياة مع استمراء لها وتلذذ بها.

فقالت تلك النفس الامارة الثانية مع الشيطان:

لِمَ لا تسعى لراحة حياتك؟ بل ترفضها. ولِمَ لا تتحرى عن حياة ممتعة بريئة طيبة تقضيها طوال عمرك ضمن دائرة النور؟ بل ترضى بالموت وتطلبه!

وعلى حين غرة ظهرت حقيقتان صارمتان اخرستا النفس الامارة الثانية والشيطان معاً، وهما:

الحقيقة الاولى:

ما دامت الوظيفة المقدسة الايمانية لرسائل النور ستتوضح أكثر وتنكشف باخلاص أزيد بسبب وفاتي، حيث لا تُتهم من اية جهة كانت انها اداة لمكاسب الدنيا ووسيلة للانانية والعجب.. وان الوظيفة الايمانية ستدوم باخلاص أكثر وأقرب الى الكمال،اذ ليس هناك ما يثير حسد الحاسدين في حياتي الشخصية.

وعلى الرغم من ان بقائي على قيد الحياة قد يتيح نوعاً من المعاونة في سير خدمة الايمان والقرآن، فان شخصيتي البسيطة التي لها حسّاد ونقّاد – لهم اهميتهم – يمكنهم ان يلصقوا تهماً على تلك الشخصية ويهاجموا ـ بعدم الاخلاص ـ رسائل النور، ويتجنبوها ويجنّبوا الآخرين عنها.

ثم ان من يقوم بشيء من الحراسة في دائرة، اذا ما اخذته الغفوة وغالب عليه النوم، فالغيورون في تلك الدائرة النورانية يهبّون حذرين، فيبرز في الميدان الوف الحراس والمرابطين بدلاً من حارس واحد بسيط.

لذا ولأجل ما سبق؛ ينبغي ان يقال للموت المقبل: أهلاً ومرحباً.

ثم يا نفسي! لِمَ تريدين أن تتخلفي عن الكثيرين من طلاب النور في البذل والعطاء ألم يبذلوا اموالهم وراحتهم ومتع الدنيا كلها، بل حياتهم - ان استوجب الأمر - في سبيل خدمة النور؟!

اعلمي قطعاً يا نفسي! ان الرضى بتوديع حياة الشيخوخة الفانية المرهقة - ان لزم الأمر أو آن أوانه - في سبيل اكساب حياة باقية لكثير من المنكوبين وانقاذها برسائل النور لئلا تفضي الى العدم، انما هو شرف عظيم في منتهى اللذة.

الحقيقة الثانية:

لو وضع عشرة أرطال من الحمل على كاهل شخص ضعيف عاجز عن حمل رطل واحد. واستعان به أصدقاؤه بدل ان يعينوه في حمله — لحسبانهم انه ذا قوة وقدرة على الحمل لخفاء ضعفه عنهم — فسوف يحاول ذلك الشخص الضعيف ان يظهر نفسه لهم

بمظهر القوي جداً، لئلا يسقط في نظرهم ولئلا يخيب حسن ظنهم به، مما يؤدي به الى التكلف والتصنع والظهور بما ليس فيه، وامثالها من الأمور الثقيلة المقيتة الفاقدة للذوق.

فكما ان الأمر هكذا في هذا الشخص، كذلك يا نفسي الأمارة الثانية الموغلة في أعماق المشاعر العمياء، اعلمي!

ان شخصيتي الاعتيادية البسيطة هذه، واستعدادي الذي لا أهمية له، كالبذرة.. ان هذا الشخص لن يكون مصدراً ولا منبعاً ولا مداراً للحقائق التي تتضمنها (رسائل النور) النابعة من صيدلية القرآن الكريم المقدسة، والتي سُلّمت الى ايدينا في هذا العصر المظلم المثقل بالامراض والاسقام، برحمة منه تعالى وبفضله وعنايته سبحانه..

واذ أنا فقير ضعيف عاجز، وسائل لدى باب القرآن ليس الاّ، ووسيلة لإبلاغه الى المحتاجين اليه، يبالغ طلابُ النور المخلصون الخالصون الصديقون الصادقون الأصفياء الفدائيون، في حسن ظنهم بشخصيتي الضعيفة، بما يفوقني مئة درجة.

فلأجل الاّ أخيب ظنهم الحسن، ولا أمس مشاعرهم بسوء، ولا اثبط شوقهم للأنوار، ولا اظهر المستوى الواطئ لمن لقبوه بالاستاذ،

ولا اضطر الى انواع التصنع المؤلم والتكلف المقيت.. أترك لقاء الناس بل أضطر الى تركه روحياً، لما أشعر من نفور قد تولد من العيش الانفرادي طوال عشرين سنة، بل اترك حتى اللقاء مع الأصدقاء الا ما يخص خدمة النور. فأدع التكلف، والتظاهر بما يفوق قيمتي الشخصية، واترك اظهار نفسي امام المغالين في حسن الظن، انها ذات مقام. واتخلى عن التكبر المنافي كلياً للاخلاص، واعاف التحري عن أذواق الأنانية والغرور المتستر تحت ستار الوقار..

فيا نفسي المفتونة بتلك الأذواق، الا تزيل هذه الحالات تلك الأذواق كلها؟!

يا نفسي! ويا دواعي الحس الشقية العمياء، المبتلاة بالأذواق!

لو استمتعت بالوف اصناف المتع، وتذوقت ألوف أنواع الأذواق الدنيوية، فهي الى زوال، بل يتحول ذلك الذوق ألماً بعينه.

وما دام تسعون بالمئة من الأحباب الذين مضوا وصاروا في طوايا الماضي كأنهم يستدعونني - بل حقيقة - الى عالم البرزخ، اضطر الى الفرار من العشرة من الاصدقاء الحاليين، ولا جرم ان حياة البرزخ المعنوية تفضل ألف مرة هذه الحياة، حياة الشيخوخة والانفراد.

وهكذا، أسكتت هاتان الحقيقتان اسكاتاً نهائياً تلك النفس الأمارة الثانية. فللّه الحمد والمنة بما لا يتناهى من الحمد والشكر. اذ رضيت تلك النفس بالذوق الوارد من الروح والمنبعث من القلب.. وسكت الشيطان أيضاً. بل حتى المرض المادي المتوطن في عروقي قد خف كثيراً.

حاصل الكلام.

اذا متُّ تزداد خدمة النور للقرآن والايمان وتتوضح وتتبين باخلاص أتم، اذ لا حسّاد ولا اتهامات، فضلاً عن النجاة من آلام التكلف الثقيلة المقيتة، والخلاص من أثقال العجب واضرار التصنع بدلاً من ذوق جزئي موقت لا أتحراه - في هذا الزمان - ولذة ناشئة من رؤية فتوحات النور بنظر الدنيا.

ثم يا نفسي لقد تجولت في هذه السنة - ولِمرة واحدة - في ارجاء الماضي، جولات حقيقية وخيالية لمشاهدة من تشتاقون اليه - أنت والروح والقلب - من المدن التي امضيتُ فيها حياتي السابقة الممتعة، ولقاء الأحبة الذين أنستُ بهم ردحاً من الزمن، والاخوان الذين حزنتِ على فراقهم حزناً أليماً. فلم تشاهدي في اوطاني المحبوبة تلك الاّ واحداً او اثنين من الأحبة، أما الباقون فقد ارتحلوا الى عالم

البرزخ، فلقد تبدلت لوحات تلك الحياة التي كانت تطفح باللذة والمتعة الى لوحات أليمة تقطر الحزن والأسى، فلا تراد تلك البقاع الخالية من الأحباب ولا تطلب اذن!

لذا فقبل ان تطردنا هذه الحياة وهذه الدنيا قائلة لنا: اخرجوا عني. نقول بعزة كاملة: الوداع، وفي امانة الله وحفظه. نعم هكذا ينبغي ان ندع هذه الأذواق الفانية محتفظين بكرامتنا وعزتنا.

الف الف سلام ودعاء لجميع اخواننا، من أخيكم المريض المسرور.

رضوخ النفس للعقل

* وما ابرئ نفسي أبداً، انها تروم كل فساد. ولكن خسران حياة دائمة وسعادة خالدة لأجل لذة قليلة، في هذه الدنيا الفانية، في هذا المضيف الموقت، في زمن الشيخوخة، في عمر قصير.. ليس من شأن العقلاء ولا يليق بذوي الشعور؛ لذا انقادت نفسي الأمارة ـ شاءت أم أبت ـ للعقل ورضخت له.

لقد أغلقتُ منافذ النفس

• اخوتي الأوفياء الصادقين!

أولاً : ان الاشتراك المعنوي بين طلاب النور سينال - باذن الله - ثواب عبادة ثمانين سنة من العمر، والذي يكسبه شهر رمضان المبارك للسعداء المحظوظين.

فعلى طلاب النور ان يستمروا - ما وسعهم - في دعواتهم المخلصة، طوال هذه الايام المباركة - الى العيد - ويسألوه سبحانه وتعالى استجابة دعوات اخوانهم، اذ لو ظفر واحد منهم بتلك الثمانين من العمر المثاب، لكان لكل واحد منهم حظ في ذلك الفوز العظيم، كل حسب درجته. ولا جرم انكم ستعينون معنوياً أخاكم هذا المريض الضعيف الذي عليه اثقل الاعباء.

ثانياً : جاءني عدد من الأطباء من أركان طلاب النور، حينما اشتدت وطأة المرض عليّ. الاّ انني لم اراجع اولئك الصادقين المخلصين حول مرضي الشديد، ولم اتناول علاجاتهم، بل لم اشاورهم أصلاً في شؤون الأمراض التي الـمّت بي رغم ان الآلام كانت تعصرني وانا في أمسّ الحاجة اليهم.

فلما رأوا اني لا أدير الحديث حول المرض قطعاً، اعتراهم قلق

واضطراب. لذا اضطررت الى بيان حقيقة ذات حكمة. وارسلها اليكم علّها تفيدكم أيضاً.

قلت لهم: ان اعدائي المسترين، ونفسي الأمارة بالسوء، ينقبان معاً ـ بايحاء من الشيطان ـ عن طبع ضعيف عندي وعرق واهٍ في خلقي، ليستحوذا عليه، ويُخلّوا به خدمتي الايمانية المخلصة ويعرقلوا نشر الأنوار.

حقاً! ان أضعف جانب عند الانسان، واخطر مانع للعمل، انما هو المرض، لانه اذا اهتم المريض بمرضه كثيراً اشتدت احاسيس الجسد عليه وسيطرت حتى يجد نفسه في اضطرار، فتُسكِت الروح والقلبَ وتجعل الطبيب كأنه حاكم مستبد، تلجؤه الى اطاعة توصياته وعلاجاته.

وهذا هو الذي يخلّ بخدمة الايمان المتسمة بالتضحية والفداء والاخلاص التام.

ولقد حاول اعدائي المسترون استغلال من هذا الجانب الضعيف عندي وما زالوا كذلك يحاولون، كما يحاولون استغلال طبع الخوف والطمع والشهرة الا انهم لم ينالوا شيئاً من هذه النواحي، فادركوا اننا لا نعبأ بشيء من احكامهم حتى باعداماتهم.

ثم ان خُلقاً ضعيفاً وعرقاً واهياً لدى الانسان الا وهو الاهتمام بهموم العيش والطمع، فقد بحثوا عنهما كثيراً للاستفادة منهما، ولكن لم يجنوا شيئاً بفضل الله من ذلك الجانب الضعيف، حتى خلصوا الى: ان متاع الدنيا الذي يضحون في سبيله بمقدساتهم، تافه لا يساوي شيئاً عندنا. وقد تحقق ذلك عندهم بحوادث كثيرة، حتى انه خلال هذه السنين العشر الماضية استفسروا اكثر من مئة مرة استفساراً رسمياً من الادارات المحلية: بِمَ يعيش؟.

ان طلب الشهرة والتطلع الى المراتب، عرق ضعيف في الانسان وجانب واهٍ فيه، فقد أمرت (السلطات) ان تُستغل ذلك العرق الضعيف عندي، فقاموا بالاهانات والتحقير والتعذيب المؤلم الجارح للشعور. ولكنهم ـ بفضل الله ـ لم يوفقوا الى شيء، وادركوا ادراكاً قاطعاً: ان ما يتطلعون اليه لحد العبادة من الشهرة الدنيوية نفهمها رياءً واعجاباً بالنفس مضراً بالانسان. وان ما يولون من اهتمام بالغ نحو حب الجاه والشهرة الدنيوية لا يساويان عندنا شروى نقير، بل نعدّهم بهذه الجهة بلهاء مجانين.

ثم ان ما يعدّ فينا ـ من حيث خدمتنا ـ جانباً ضعيفاً وعرقاً لا يقاوم، مع انه ـ من حيث الحقيقة ـ جانب مقبول لدى الناس كلهم، بل يتلهفون الى ادراكه والظفر به، هذا الجانب هو كون الشخص

يحرز مقاماً معنوياً ويعرج في مراتب الولاية، ويدرك تلك النعمة لنفسه بالذات. فهذا الجانب رغم انه لا ضرر فيه البتة، وليس له غير النفع، الأ انه في زمان قد استولت فيه الانانية وطغت الاثرة واستهدفت المنافع الشخصية حتى انحصر شعور الانسان في انقاذ نفسه .. اقول ان القيام بخدمة الايمان في هذا الزمان ـ تلك الخدمة التي تستند الى سر الاخلاص وتأبى ان تستغل لأي شيء كان ـ تقتضي عدم البحث عن مقامات معنوية شخصية، بل لابد الاّ تومىء حتى حركات المرء الى طلبها والرغبة فيها، بل يلزم عدم التفكير فيها أصلاً. وذلك لئلا يفسد سر الاخلاص الحقيقي.

ومن هنا ادرك الذين يسعون لاستغلال هذا الجانب الضعيف لديّ باني لا أتحرى خارج خدمة النور ما يتحراه كل انسان من كشف ومزايا أخرى روحية.

تحياتنا الى اخواننا فرداً فرداً. ونسأله تعالى برحمته الواسعة ان يجعل ليلة القدر المقبلة بمثابة ثمانين سنة من العبادة لكل طالب من طلاب النور ونستشفع حقيقة تلك الليلة في دعواتنا هذه.

طريق الصحابة الكرام

● ...وهكذا الأمر في النفوذ من الظاهر الى الحقيقة، فانه بصورتين:

الاولى : الانجذاب الى الحقيقة مباشرة ووجدان الحقيقة في عين الظاهر المشاهد، من دون الدخول الى برزخ الطريقة.

الثانية : قطع مراتب كثيرة بالسير والسلوك.

فأهل الولاية رغم انهم يوفقون الى فناء النفس الامارة بالسوء ويقتلونها، فانهم لا يبلغون مرتبة الصحابة الكرام، لان نفوس الصحابة كانت مزكاة ومطهرة، فنالوا كثيراً من انواع العبادة وضروباً مختلفة من الوان الشكر والحمد بأجهزة النفس العديدة، بينما عبادة الأولياء - بعد فناء النفس - تصبح يسيرة وسهلة.

أسوأ النسيان نسيان النفس

* ان الانسان مبتلىً بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيانُ نفسه. لان نسيان النفس ان كان في المعاملة والخدمة والسعي والتفكر، فهو الضلال. وان كان في النتائج والغايات فهو الكمال، فأهل الضلال وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر. اما الضال؛ فينسى نفسه عند النظر للعمل، وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يعدّ نظره الى

الآفاق لتطمين الانانية المتفرعنة، وغروره المنبسط الذي تضيق عنه النفس. لكن يتذكر نفسه في كل شيء من الغايات، فتيلاً أو نقيراً. حتى لا غاية عنده، الا ما يعود الى نفسه. وإن غاية الغايات في نظره، حب ذاته. واما من زكّاها فيتذكر نفسه قبل كل شيء عند السعي، والسلوك في الحركة، أو التفكر. فكأن نفسه واحد قياسي، ومبدأ مركزي لكل عمل وتفكر. لكن ينسى نفسه في النتائج، والاغراض، والفوائد، والمقاصد..

دع الغرور وانظر الى السلف من قرب

* وكذا من مرضك غرورك فبحكمه نظرت الى الاسلاف العظام من بعد فتصاغروا في عينك، فحرمت محاسن ارشاداتهم، وابتليت بالاوهام المتطايرة من تحت أقدامهم - في سلوكهم - مع أوهامك؛ فانظر اليهم من قرب ترهم أعاظم كشفوا في اربعين يوماً ما لم تقتدر على كشفه الا في اربعين سنة.

الغفلة سبب لفرعونية النفس

• اعلم! ان الغفلة عن المالك الحقيقي جل جلاله، سببٌ لفرعونية

النفس، فتتوهم نفسَها مالكة لها، فيتشكل في وهمها دائرة لحاكميتها، ثم تقيس الناسَ، بل الاسباب على نفسها، فتقسم مال الله عليها، فتعارض الاحكام الالهية، وتبارز مقدرات خالقها، مع ان الحكمة في اعطاء انانية، ان تصير واحداً قياسياً لفهم صفات الالوهية. فاساءت بسوء الاختيار، فصرفَتْها في غير ما وضعَت له.

الشهرة عين الرياء

• يا من يطلب الشهرةِ المسماة في العُرف بـ « شان وشرف »! اسمع مني: فقد شاهدتُ الشهرة عينَ الرياء وموتَ القلب، فلا تطلبها لئلا تصير عبدَ الناس، فان أُعطيتَها فقل: ﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

• اخواني! تعلمون اننا نهرب - في مسلكنا - من الأنانية والغرور وحب الذات والتطلع الى نيل المقامات المتسترة بالشهرة، نهرب منها هروبنا من السم القاتل، ونتجنب كثيراً من كل ما يشعر بتلك الحالات.

فعلى سبيل المثال: لقد شاهدتم هنا بأم أعينكم طوال سبع

سنوات وادركتم بتحقيقاتكم وتتبعاتكم منذ عشرين سنة: انني لا أريد احراز احترام ونيل مقام لشخصي. ولقد نهرتكم عن ذلك بشدة، واستاء منكم إن منحتموني منزلة تفوق حدّي. فلا أقبل الا صفة طالب لرسائل النور ـ التي هي معجزة معنوية للقرآن الحكيم في هذا الوقت ـ مرتبطٍ بها ارتباط تسليم لها وتصديق بها. والحمد لله والشكر له.

• يا سعيد! كن صعيداً، كالتراب في تواضع مطلق، وفناء تام، وترك كلي للأنانية. لئلا تعكر صفو (رسائل النور) وتقلل من تأثيرها في النفوس.

• ان الذي أدرك (يقصد نفسه) قبل ثلاثين عاماً بفضل الله وعنايته الكريمة مدى الضرر البالغ للشهرة الدنيوية الموقتة، وللاعجاب بالنفس والغرور والعجب، فشرع بمجاهدة نفسه الأمارة، منذئذٍ ـ بكل ما اتاه الله من قوة ـ ليجنبها الأنانية، وذلك بالتحلي بالتواضع التام والتجرد، وسعى في سبيل تجنيبها الرياء والتصنع ما استطاع اليه سبيلاً، حتى شهد له على ذلك شهادة صادقة اصدقاؤه الذين كانوا يعاونونه في بعض شؤونه، وعرفوا منه ذلك معرفة يقينية..

زد على ذلك فان تجنبه الشديد ـ منذ عشرين عاماً ـ عما يرضاه كل أحد لنفسه، من نيل مقام معنوي، وتوجه الناس نحوه واقبالهم عليه ومدحهم له وثنائهم عليه وحسن الظن المبالغ بحقه، وامثالها ماتهش له نفس الانسان، بل ردّه لإخوانه الخواص عن المغالاة في حسن ظنهم به، بل جرحه شعور خلّص اخوانه في هذه المسألة، كما هو ثابت في رسائله الخاصة اليهم، ورسائله الجوابية اليهم. وعدّ نفسه فيها محروماً من كل فضيلة، وان الفضل كله لله، ولتفسير القرآن الكريم، لرسائل النور، ثم للشخص المعنوي لطلاب النور. وانه ليس الاّ خادماً في هذه الخدمة المباركة.

كل ذلك يثبت اثباتاً قاطعاً انه لا يسعى لجلب اعجاب الناس به، بل يردّ ذلك رداً قوياً.

خدمة الحق تتطلب ترك الانانية

• انني خلال السنوات الثلاثين من حياتي، والتي اطلقت فيها على نفسي اسم «سعيد الجديد» أدّعي فأقول: بانني قد بذلت ما وسعني الجهد لكبح جماح نفسي الامارة بالسوء، وصونها من العجب والتطلع الى الشهرة والتفاخر، بل قد جرحت اكثر من مئة

مرة مشاعر طلاب النور الذين يحملون حسن ظن مفرط بشخصي، يشهد على هذا ما كتبته في (رسائل النور) وحقائقها المتعلقة بشخصي، والمنصفون ممن يختلفون اليّ بجد، والاصدقاء جميعاً. فأنا لست المالك لبضاعة النور، بل لست الاّ دلالاً ضعيفاً بسيطاً في حانوت مجوهرات القرآن!

كما انني بتصديق من اخواني المقربين، وبما شاهدوا من اماراتها العديدة، عازم ألاّ أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائلة وحدها، بل لو أسند اليّ ـ فرضاً ـ مقامات معنوية عظمى، فانني اضحي بها ايضاً لخدمتي للايمان والقرآن خشية اختلاط حظوظ نفسي باخلاصي في الخدمة. ولقد قمت بهذا فعلاً.

لا احسن الظن بنفسي

• اخوتي الأوفياء الصادقين!

«جواب خطر على البال لمناسبة سؤال مادي ومعنوي».

يقال:

لِمَ لا تقبل مقاماً ومزايا لشخصك بالذات الذي هو موضع حسن ظن مفرط لطلاب النور وقناعتهم التامة بحق شخصك، علماً ان

قبـولك ذلك المقام يكون مثار شـوقهم للعمل في خـدمة الايمان . بل نجدك تصرف تلك المزايا عن شخصك الى (رسائل النور) وحدها، وتظهر نفسك خادماً كثير التقصيرات؟!.

الجواب :

حـمـداً لله وشكراً له لا منتهى لهـما. فان لـ (رسائل النور) نقاط استناد قـوية لا تتزعـزع، وحـجـجـاً نافـذة سـاطعـة لا تخـبـو بحـيث تستغني عـمـا يظن في شـخـصي من مـزايا وقـابليـات . فـهي ليست كالمؤلفات والآثار الأخرى تبنى أهميتها على قابلية مؤلفها، وتستمد قوتها وحسنها منه، بل هي تستند على حجـجها القاطعة منذ عشرين سنة، حتى أرغـمت اعدائي ـ الماديين والمعنويين ـ الى الاستسـلام، والأمر واضح أمـام الجميع. فلو كـانت شخصـيتي نقطة استناد مهم لها، فان اعدائي الملحدين ومعارضي الظلمة كانوا يمكنهم ان ينزلوا ضربتهم القاضية بـ (رسائل النور) وذلك بالنيل من شـخصي المقصّر المذنب . بينما اولئك الأعـداء لطيشهم وبلاهتهم يدبرون مـا وسعهم من الدسائس والوسـائل للحط من قيمـتي والنيل من شخصـيتي، وإذ هم يسـعـون ليـحـولوا دون توجـه النـاس نحـوي واقبـالهم عليّ، لا يسـتطيعـون ان يحـولوا دون فتـوحـات (رسـائل النور) الايمانيـة ولا التـهـوين من شـأنهـا، بل يعـجـزون عن أن يجـعـلوا مـحـبين جـدد

يتخلون عن خدمة الايمان، رغم ما كدّروا من صفاء اذهانهم وقلوبهم.

فلأجل هذه الحقيقة، ولأجل طغيان الأنانية وهيمنتها الواسعة في هذا الزمان، ارفض حسن الظن المفرط بشخصي الذي يفوق كثيرا حدّي وطوقي، لاني كاخوتي، لا أحسن الظن بنفسي، فضلاً عن ان المقام الأخروي الذي منحه اخوتي اخاهم هذا الفقير، ان كان مقاماً دينياً حقيقياً، وان كنت اعلم ان نفسي أهل لها ـ حاش لله ـ يلزم اذاً عدم قبول هداياهم ومنحهم، وذلك ـ حسب القاعدة المذكورة في المكتوب الثاني ـ فضلاً عن ان الذي يرى نفسه صاحب مقام ربما تتداخل الانانية في الأمر.

عرق الرقابة والغبطة

• (اعلم): ان عرق الرقابة والغبطة والحسد انما يتحرك عند أخذ الاجرة وتوزيع المكافأة وملاحظتها. واما عند الخدمة وفي وقت العمل فلا، بل الاضعفُ يحبّ الأقوى، والادنى يميل الى الاعلى، ويستحسن الخدمة وكلفةَ العمل. فاذ كانت الدنيا دار خدمة وعمل فقط للأمور الدينية والاعمال الأخروية، لابد ان لا تتداخل فيها

الرقابة والحسد، واذا تداخلت فيها الرقابة يظهر عدم الاخلاص. وان العامل في تلك الاعمال يلاحظ مكافأة دنيوية أيضاً، وهو تقدير الناس واستحسانهم. ولا يعرف المسكين انه بهذه الملاحظة ابطل عمله واضعف قوته بتنفير الناس عن معاونته.

المناظرة مع الملحدين

* (اعلم): يامن يشتغل بالمناظرة مع الملحدين والمتشككين والمقلدين للزنادقة الأوربيين! انك على خطر عظيم إن كانت نفسك غير مزكاة، لأجل إلتحاق نفسك سراً وتدريجاً من حيث لا تشعر بخصمائك. على ان المناظرة بالانصاف المسمى بالتركي (بي طرفانه محاكمه) «المناظرة الحيادية» أشد خطراً على ذي النفس الامارة؛ اذ بكثرة تكرار فرض المنصف في موقع الخصم يقيم في ذهنه خصماً خيالياً فيتولد منه في دماغه «لُمة تنقيد» تصير وكيل خَصمه داخلاً فيتعشش الشيطان في تلك اللمة.

التوحيد التصديقي غير التوحيد التصوري

• التوحيد الحقيقي انما هو حكمٌ وتصديق واذعان وقبول، بحيث يمكّن المرء من ان يهتدي الى ربه من خلال كل شئ. ويمكّنه من ان يرى في كل شئ السبيل المنورة التي توصله الى خالقه الكريم، فلا يمنعه شئ قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه.

انقاذ الايمان أعظم احسان في هذا الزمان

• ان اعظم احسان اعدّه في هذا الزمان وأجلّ وظيفة، هو انقاذ الايمان والسعي لإمداد ايمان الآخرين بالقوة. فاحذر يا أخي من الانانية والغرور وتجنب من كل مايؤدي اليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان، التجرد من حظ النفس، ونبذ الغرور والانانية، وهذا هو الالزم لهم، لأن أعظم خطر يتأتى في هذا

العصر، انما يتأتي من الانانية والاعجاب بالنفس، فعلى كل فرد من أهل الحق والحقيقة ان ينظر الى تقصيرات نفسه ويتهمها دائماً ويتحلى بالتواضع التام.

خدمة الايمان فوق كل شيء

• ان طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الايمان فوق كل شيء. بل حتى لو مُنحوا درجة القطبية يرجحون عليها خدمة الايمان حفاظاً على الاخلاص.

نحن طلاب (رسائل النور)، وظيفتنا الخدمة، خدمة الايمان والقرآن، وعدم التدخل في أمور الله، وعدم بناء خدمتنا على تلك الأمور الذي يومئ الى ما يشبه التجربة والاختبار. فضلاً عن اننا نهتم بالنوعية دون الكمية...

لقد ساقت أسباب رهيبة منذ سالف الزمن الى تدهور الاخلاق واستحباب الدنيا على الآخرة وتفضيلها عليها في كل شيء. فضمن هذه الأحوال المحيطة، فان فتوحات الايمان التي تكسبها (رسائل النور) حتى الآن، وكسرها لصولة الزنادقة وهجوم الضلالة، وانقاذها ايمان مئات الالوف من الناس المنكوبين، وتربيتها مئات بل الوف المؤمنين الحقيقيين الذين يعادل كل منهم مئة الفاً من غيرهم. اثبتت

اثباتاً قاطعاً بحـوادث واقعة ـ وستثبت باذن الله في المستقبل ـ إخبار المخبر الصادق صلى الله عليه وسلم وصدّقته تصديقاً فعلياً.

التحدى بالايمان

• ان اصحـاب الدنيـا المتكالبين على متـاعهـا الزائف قد توهـموا عبثاً ان رجلاً عاجزاً غـريباً في هذه الدنيا مثلي له من القوة ما لآلاف الرجـال. وقـد دفـعـهـم هذا الوهـم الى وضـعـي تحت قيـود صـارمـة مـشددة؛ فلم يسـمحـوا لي مـثلاً بالاقـامة لـيلة او ليلتين في «بدرة» وهي كـحي من أحيـاء «بارلا» او حتى على جـبل من الجبال القـريبة منهـا. وقد سـمعتهم يقولون: «ان لسعيد من القوة مـا لخمسين ألف رجل لذا فلا يمكننا إطلاق سراحه»!

وأنا أقول:

يا طلاب الدنيا التعساء! مع انكم تعملون للدنيا بكل ما أوتيتم من قوة وجهد فلِمَ لا تعلمون شؤونها ايضاً فتحكمون كالمجانين. فاذا كـان خوفكـم من شخـصي الفـاني، فـهـوخـوف زائف، لا مـبـرر له اطلاقـاً، اذ يستطـيع اي انسـان ـ وليس خـمـسين ألـفـاً ـ ان يعـمل ضـعف عملي خـمسين مـرة. يستـطيع في الأقل ان يقـف على باب

غرفتي ويقول: «لن تخرج».. فينتهي الأمر. أما اذا كان خوفكم من مهنتي التي هي الدعوة الى القرآن، ومن قوة الايمان التي اتسلح بها. ألا فلتعلموا جيداً بأنني لست في قوة خمسين ألف رجل.. كلا.. انكم مخطؤون. انني بفضل الايمان وبحكم مهنتي في قوة خمسين مليون شخص! انني بقوة القرآن الكريم اتحدى اوروبا كلها بما في ذلك ملاحدتكم.. لقد اقتحمت قلاعهم الحصينة التي يسمونها «العلوم الطبيعية او الحديثة».. وذلك بفضل ما نشرت من الحقائق الايمانية والبراهين القرآنية الدامغة التي أنزلتُ بها اكبر فلاسفتهم الى رتبة هي أدنى مائة مرة من رتبة الانعام! ولو اجتمعت اوروبا باسرها بما في ذلك ملاحدتكم، فلن تستطيع ان تحول دون مسألة واحدة من مسائل مهنتي ولا ان تغلبني باذن الله وتوفيقه.

ومجمل الكلام:

فكما لا أتدخل في شؤون دنياكم لا يحق لكم ان تتدخلوا في شؤون أُخراي كذلك.. ولا تحاولوا.. اما اذا ركبتم راسكم وحاولتم التدخل، الا فلتعلموا يقيناً بانكم لن تجنوا من وراء ذلك شيئاً، وستكون سعيكم عبثاً.

قوةُ العضد لا ترد تقدير الله

وشمعة اوقدها المولى لا تطفئها الأفواه

• اخواني الأعزاء الصدّيقين.

ان في موسم الصيف هذا، وفي زمن الغفلة هذا، وفي فترة الانشغال بهموم العيش، ونيل الثواب الكبير من العبادات التي تؤدى في هذه الشهور الثلاثة والصراع السياسي العاصف التي تعصف في أرجاء الأرض كافة، دونه الصراع بالسلاح.. في هذه الأثناء إن لم تكن هناك صلابة في منتهى القوة وثبات راسخ على اداء وظيفة النور المقدسة فسوف يعترى فتور وتعطل وتوقف في العمل. مما هو ليس بصالح (رسائل النور).

اخوتي الاعزاء!

اعلموا قطعاً ان الوظيفة التي ينشغل بها طلاب (رسائل النور) هي أجلّ وأعظم مسألة من مسائل الكرة الارضية قاطبة، فلا تفتروا في مهمتكم الباقية، ملتفتين الى مسائل دنيوية مثيرة للاهتمام، اقرأوا كثيراً «المسالة الرابعة» من رسالة «الثمرة» كيلا تثبط عزائمكم وقوتكم المعنوية.

نعم! ان جميع المسائل العظمى التي ينهمك بها أهل الدنيا انما تدور ضمن الدستور الظالم، دستور الجدال والصراع وفي نطاق

الحياة الفانية، بابشع صورها واظلمها حتى يضحي في سبيلها
المقدسات الدينية حصولاً على حطام الدنيا، لذا يلقيهم القدر
الالهي في عذاب جهنم معنوية من خلال جرائمهم التي يرتكبونها.

اما رسائل النور وطلابها فان ما يسعون اليه وما هم مكلفون
بادائه من مهمة انما هو لحياة باقية خالدة بدلاً من هذه الفانية. وهو
اظهار حقيقة الموت بانه ستار امام الحياة الباقية، ذلك الجلاد الذي
يرهبه عبدة الدنيا أشد رهبة..

ومن ثم اثبات ذلك بيقين جازم كمن يثبت حاصل ضرب الاثنين
في أثنين يساوي أربعاً..

فقد أظهرت (رسائل النور) هذه الحقيقة الى الآن؛ من ان الموت
والأجل ليسا الا ستاراً ووسائل لبلوغ أهل الايمان السعادة الأبدية.

حاصل الكلام:

ان أهل الضلالة يكافحون في سبيل حياة دنيوية موقتة، اما نحن
فنجاهد الموت بنور القرآن، لذا فان ما هو أعظم مسألة في نضالهم -
لانها موقتة - لا تعادل أصغر مسألة من مسائلنا، لانها متوجهة الى
البقاء والخلود..

وحيث انهم لا يتنازلون ــ ببلاهتهم ـ ويربأون بأنفسهم عن التدخل في مسائلنا العظمى، فلِمَ نتتبع بلهفة مسائلهم الصغيرة على حساب وظيفتنا المقدسة؟.

تدبروا في هذه الآية الكريمة: ﴿.. **لا يضركم من ضلّ اذا اهتديتم**﴾.. بمعنى: ان ضلال الآخرين لا تضر هدايتكم، فلا تنشغلوا بها. وتأملوا في الدستور المهم من دساتير اصول الشريعة: (الراضي بالضرر لا ينظر له). أي: لا ينظر بعين العطف والشفقة لمن رضي بنفسه الضرر.

فما دامت الآية الكريمة والدستور القويم يمنعاننا من العطف على الراضين بالضرر على علم. فلابد ان نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا في وظيفتنا المقدسة. ولابد أن نعد كل ما هو خارج عنها اموراً لا تعنينا بشيء، فلا نضيّع وقتنا بها. لأننا نملك النور وحده، لا المطرقة، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن اذا ما اعتدي علينا، نظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني.

واجب أولى من واجب

• سألني يوماً اخواني الذين يتولون خدمتي قائلين:

لقد أخذت الحرب العالمية باهتمام الناس وشغلت الكرة الارضية وأوقعتها في اضطراب وقلق وهي ذات علاقة بمقدرات العالم الاسلامي، الا اننا نراك لاتسأل عنها رغم مرور خمسين يوماً على نشوبها.. في الوقت الذي نرى متدينين وعلماء يَدَعون الجامع والجماعة مهرعين الى استماع الراديو. فهل هناك قضية اعظم منها تشغل بالك؟ أم أن الانشغال بها فيه خسارة وضرر؟

فأجبتهم:

ـ ان رأس مال العمر قليل، ورحلة العمر هنا قصيرة ، بينما الواجبات الضرورية والمهمات التي كُلّفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز حول الانسان:

فابتداء من دائرة القلب، والمعدة، والجسد، والبيت، والمحلة، والمدينة، والبلاد، والكرة الارضية، والبشرية، وانتهاء الى دائرة الاحياء قاطبة والعالم أجمع كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر، فكل انسان له نوع من الوظيفة في كل دائرة من تلك الدوائر. ولكن أعظم الواجبات واهمها، بل أدومها بالنسبة له هي في أصغر

تلك الدوائر واقربها اليه، بينما أصغر الواجبات وأقلها شأناً ودواماً هي في اعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه. فقياساً على هذا: يمكن ان تتناسب الوظائف والواجبات تناسباً عكسياً مع سعة الدائرة، أي كلما صغرت الدائرة ـ وقربت ـ عظمت الوظيفة، وكلما كبرت الدائرة ـ وبعدت ـ قلت اهمية الوظيفة.. ولكن لما كانت الدائرة العظمى فاتنة جذابة، فهي تشغل الانسان بأمور غير ضرورية له، وتصرف فكره الى اعمال لا تعنيه بشيء، حتى تجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه، فيهدر ـ عندئذ ـ رأس مال عمره ويضيع حياته سدى، زد على ذلك قد يميل قلبه وينحاز الى احدى الجهتين المتخاصمتين لتتبعه بلهفة اخبار الحرب الطاحنة بينهما. فلا يجد في نفسه انكاراً لمظالم تلك الجهة، بل يرتاح اليها، ويكون شريكاً لها في ظلمها.

أما الجواب عن النقطة الاولى فهو:

ان أمام كل انسان ـ ولا سيما المسلم ـ مسألة مهمة، وحادثة خطيرة هي اعظم من الصراع الدائر بين الدول الكبرى لأجل السيطرة على الكرة الأرضية. تلك المسألة هي من الأهمية والخطورة ما لو امتلك الانسان العاقل قوة الالمان والانكليز، وثروتهما معاً، لما تردد في ان يضعها كلها لأجل كسب تلك القضية المبتغاة.

تلك القضية هي التي أعلنها مئة الف من المصطفين الأخيار، ورفع رايتها ما لا يحد من نجوم البشرية ومرشديها المستندين الى الاف من مواثيق رب العالمين ومن وعوده وعهوده بل لقد شاهدها قسم منهم عيانا، تلك القضية قضية مصيرية للانسان وهي:

ان يكسب الانسان بالايمان - أو يخسر دونه - ملكاً عظيماً خالداً ومساكن طيبة في جنات عدن عرضها السموات والارض. فمَن لم يفز بشهادة الايمان ولم يرعها حق رعايتها فسوف يضيّع حتما تلك القضية ويخسرها وذلك هو الخسران المبين.

ولقد ضيّع الكثيرون في عصرنا هذا - ممن ابتلوا بطاعون المادية - قضيتهم هذه، حتى كشف أحدُهم وهو من اهل العلم والكشف وشاهد: ان افراداً قلائل فقط من كل اربعين شخصاً - في مكان ما - هم الذين نجوا بايمانهم في سكرات الموت وختمت حياتهم بالحسنى، أما الباقون فهلكون!. ترى لو عُوّض احد هؤلاء سلطان الدنيا وملكها وزينتها بديلا عن تلك القضية العظمى، أفيكون هذا البديل كفواً لمافاته؟ أَويسد مسدّه بحال من الاحوال؟ كلا!

ولهذا فنحن معاشر طلبة النور نعلم يقيناً: ان ترك خدمات عظيمة تكسب لنا تلك القضية، واهمال مهمت وكيلها الذي يصونها لتسعين بالمئة، والانشغال عنها بمالا يعني من امور خارجية

واهتمـامات تافهة ـ كأن الدنيا خالدة ـ مـا هو الا من سخافة العقل وجنونه.

فنحن على يقين تام واطمئنان كامل من هذا، لذا لو ملَكَ احدُنا عقلاً وادراكاً للامـور اضعاف اضعاف ما يملكه الآن لبـذله كله فيما يلزم تلك القضية وفي سبيلها.

الايمان خبز الحياة والتصوف فاكهة

• اني أخال ان لو كان الـشيخ «عبد القادر الكيلاني» و «الشاه النقشبند» و«الامام الرباني» وامثالهم من اقطاب الايمان رضوان الله عليهم أجـمعين.. أجل لو كان هـؤلاء في عصرنا هذا لبـذلوا كل ما في وسعهم لتقوية «الحقائق الايمـانية» والعقائد الاسلامية، ذلك لأن منشأ السعـادة الأبدية فيهما، وان أي تقصـير مهما كان فيـهمـا يعني الشقاء الأبدي.

اذ لا يمكن الدخـول الى الجنة دون ايمان، بينمـا هناك الكـثيـرون يدخلونها دون تصـوف، ولا يمكن للانسان أن يعيش من دون خبز، ولكنه يمكنه ذلك دون فاكهة. فالتصوف فـاكهة، والحقائق الاسلامية خبز.

ولما كان الصعود الى الحقائق الايمانية بالسير والسلوك، يستغرق فيما مضى أربعين يوماً الى إربعين سنة، فلا يعقل أبداً الا يُبالى بطريق - لو وجدت في الوقت الحاضر - توصل الى تلك الحقائق في إربعين دقيقة..!

نعم فالذين يقرأون ثلاثاً وثلاثين «كلمة» من كتاب «سوزلر» (الكلمات) بدقة وامعان يقرون بهذا.

فما دامت الحقيقة هذه، فكتاب «سوزلر» - الكلمات - الذي يبين اسرار القرآن الحكيم:

هو أنجع دواء وأفضل وسيلة لضماد جراحات هذا العصر.

وهو أنفع نور لعالم الاسلام المتعرض لهجمات خيول الظلام الحالك.

بل هو أصدق مرشد لاولئك الحائرين في متاهات الضلالة.

اعظم احسان هو عدم الاحساس به

• يا اخوتي الأوفياء الأعزاء!

قال لي أحد الأتقياء في «قسطموني» شاكياً: «لقد تردّيت،

وتقهقرت عن حالي السابق اذ فقدت ما كنت عليه من أحوال وأذواق وأنوار».

فقلت له: بل قد ترقيت، واستعليت على الأذواق والكشفيات التي تلاطف النفس وتذيقها ثمراتها الاخروية في الدنيا، وتعطيها الشعور بالانانية والغرور. وقد طِرتَ الى مقام أعلى وأسمى بنكران الذات وبترك الانانية والغرور، وبعدم التحري عن الأذواق الفانية.

نعم ان احساناً الهياً مهماً هو عدم احساسه باحسانه لمن لم يدع انانيته، كيلا يصيبه الغرور والعجب.

فيا اخوتي! بناءً على هذه الحقيقة، فان من يفكر مثل هذا الشخص، أو يهتم بمقامات باهرة يمنحها حسن الظن، عندما ينظر اليكم، ويرى طلاباً قد لبسوا لباس التقوى والتواضع التام وتسربلوا بخدمة الناس، يتصوركم من العوام، أو أناساً اعتياديين، فيقول: «أهؤلاء هم أبطال الحقيقة ورجالها، أوَ هؤلاء يتحدون الدنيا بأسرها! هيهات!. أين هؤلاء من اولئك المجاهدين في سبيل هذه الخدمة المقدسة، والذين سبقوا الأولياء الصالحين في هذا الوقت فأعجزوهم عن اللحاق بهم».

فان كان صديقاً تصيبه خيبة أمل، وان كان معارضاً يجد نفسه محقاً.

الذكر لا يخلو من الإفاضة

• (اعلم) : ان في الذاكر لطائف مختلفة في الاستفاضة (من الفيض الالهي) بعضها يتوقف على شعور العقل والقلب، واستفادة بعضٍ لا شعوري تحصل من حيث لا يُشعر. فالذكر مع الغفلة أيضاً لا يخلو من الأفاضة.

الاسماء الحسنى منبع الحقائق والعلوم كلها

• ان كل ما ناله الانسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله الى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الاسماء: ﴿ وعلّم آدم الاسماء كلها ﴾. وهذا التعبير ينطوي على رمزٍ رفيع ودقيق، وهو:

ان لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند الى اسم من الاسماء الحسنى، وباستنادها الى ذلك الاسم - الذي له حجب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك والفن والكمال وتلك الصنعة كماله، ويصبح حقيقة فعلاً، والا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش.

فالهندسة ـ مثلاً ـ علم من العلوم، وحقيقتُها وغاية منتهاها هي الوصول الى اسم (العدل والمقدِّر) من الاسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم (الهندسة).

والطب ـ مثلاً ـ علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقته يستند أيضاً الى اسم من الاسماء الحسنى وهو (الشافي). فيصل الطب الى كماله ويصبح حقيقة فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم (الشافي) في الادوية المبثوثة على سطح الارض الذي يمثل صيدلية عظمى.

والعلوم التي تبحث حقيقة الموجودات ـ كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان هذه العلوم التي هي «حكمة الاشياء» يمكن ان تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله (الحكيم) جل جلاله في الاشياء، وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية. وبرؤية هذه التجليات في منافع الاشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقاً، أي باستنادها الى ذلك الاسم (الحكيم) والى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلاً، وإلاّ فإما انها تنقلب الى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائها أو تفتح سبيلاً الى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية..

فاليك الامثلة الثلاثة كما مرت.. قس عليها بقية العلوم والفنون والكمالات..

الغاية القصوى من خلقك

أيها الانسان!

● المقصد الاسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وان الغاية القصوى من خلقك انت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات.

فساد الهواء المعنوي وعلاجه

● كنت أرى في نفسي وفي طلاب النور القريبين - من هنا - رهقاً، وفتوراً في الشوق، بعد انقضاء الأشهر الحرم. ولم أكن أفهم سبب ذلك بوضوح. الا انني الآن رأيت ان ما قلته - ظناً - من سبب انما هو حقيقة. وهي:

كما ان الهواء يؤثر تأثيراً سيئاً ان كان فاسداً - فساداً مادياً - كذلك الهواء المعنوي اذا ما فسد - فساداً معنوياً - فانه يؤثر تأثيراً سيئاً في كل شخص وحسب استعداده. ان توجّه المؤمنين عامة

واقبالهم الجاد في الشهور الثلاثة الى كسب مغانم أخروية والفوز في تجارتها، يصفّي الهواء المعنوي للعالم الاسلامي عامة وينقيه ويجمّله. حتى يتمكن من الصمود تجاه الآفات المهلكة والبلايا الرهيبة. فكل مؤمن يستفيد من ذلك الهواء الصافي الجميل حسب درجته.

ولكن بعد مضي الشهور المباركة تتبدل أوضاع السوق الاخروى، وتتفتح ابواب السوق الدنيوي، فيعترى الهمم والتوجهات شيء من التغير والتبدل، اذ تسمم الابخرة والهواء المتصاعد من الأمور التافهة السخيفة، وتفسد ذلك الهواء الجميل. فيتضرر بدوره كل مؤمن حسب درجته.

وعلاج هذا الداء والنجاة منها هو:

ينبغي النظر الى الأمور بمنظار (رسائل النور)، والسعي في الخدمة الايمانية السامية بجد أكثر وشوق أعظم كلما ازدادت المشكلات. لأن فتور الآخرين وتخلّيهم عن الخدمة، مدعاة لإثارة لأثارة غيرة أهل الهمة وتحفيز شوقهم، اذ يجد نفسه مضطراً الى حمل شيء من اعبائهم ومهاتهم، بل ينبغي له ذلك.

لتتحد قوى الايمان ضد العدو المشترك

● لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين الى اهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فاهل الايمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة الى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون ايضاً الى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي.

هكذا تقتضي خدمة الايمان

● *أولاً* : انه يجب عليّ المجيء الى هنا حتى لو كنت في (مكة المكرمة) وذلك انقاذاً للايمان وخدمة للقرآن الكريم، فالحاجة هنا شديدة جداً. فلو أملك الف روح وروح، وابتليت بألف مرض ومرض، وقاسيت الوفاً من صنوف الآلام والمصاعب، فان قراري ـ وقرارنا ـ هو البقاء هنا، خدمة لايمان هذه الأمة وسعياً لإكسابهم السعادة الأبدية، ذلك ما تعلمناه من دروس القرآن الكريم.

ثانياً : تكتب اليّ ـ يا أخي ـ عن الأهانة التي أقابل بها بدلاً من

الاحترام والتقدير وتقول: «لو كنتَ في مصر أو أمريكا لكنتَ تُذكر في التاريخ باعجاب وفخر».

أخي العزيز الفطن! نحن نهرب هروباً من احترام الناس أيانا وتوقيرهم لنا وحسن ظنهم بنا واكرامهم لنا واعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكنا.

فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء عجيب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء - وهو عجب ذو فتنة - وحب الظهور وكسب أعجاب الناس.. كل ذلك مناف ومخالف للاخلاص الذي هو أساس من اسس النور ومسلكه. فنحن نجفل ونهرب مذعورين من هذه الامور باعتبارنا الشخصي؛ ناهيك عن الرغبة فيها.

ولكننا نرجو من رحمة الله الواسعة اظهار (رسائل النور) النابعة من فيض القرآن الكريم، والتي هي لمعات أعجازه المعنوي، ومفسرة حقائقه وكشافة اسراره.. فنرجو من رحمته تعالى الاعلان عن هذه الرسائل والرواج لها وبيان شعور الناس بحاجتهم اليها واظهار قيمتها الرفيعة جداً، وتقدير الناس لها واعجابهم بها، وتبيان كراماتها المعنوية الظاهرة جداً واظهار غلبتها على الزندقة بجميع انواعها بسر الايمان، فنحن نريد أعلام هذه الأمور وافهام الناس بها واظهار تلك المزايا، ونرجو ذلك من رحمته تعالى.

نذرت حياتي لنشر حقائق الايمان

• في ايام منفاي هذه.. أرى أناساً ممن سقطوا في حمأة السياسة وابتلوا بالاعجاب بالنفس، ينظرون اليّ نظرة تتسم بالمنافسة والانحياز الى جهة. وكأنني مثلهم ذو علاقة مع تيارات دنيوية.

فيا أيها السادة! اعلموا انني في صف الايمان وفي تياره وحده، ويواجهني تيار الالحاد. ولا علاقة لي اصلاً بأي تيار آخر.

فالذي يتخذ وضع المنافس والمخالف لي، ويتعرض لي ويسبب ايلامي، ان كان ممن يعمل لقاء اجرة، ربما يجد شيئاً من العذر في تصرفاته هذه. ولكن الذي لا يعمل لقاء اجرة، وانما يقوم بمثل هذه المعاملات باسم الغيرة والحمية، فليعلم انه يرتكب خطأً ايّما خطأ، لأنه - كما اثبتناه سابقاً - لا علاقة لي قطعاً بالسياسة الجارية في الدنيا، فلقد نذرت حياتي وحصرت وقتي كله لنشر حقائق الايمان والقرآن، لذا فليفكر جيداً من يتعرض لي ويتخذ موقف المنافس، انه في حكم المتعرض للايمان في سبيل الزندقة والالحاد.

الفرق بين الايمان وعدم الانكار

- اخوتي الاعزاء الصادقين الأوفياء، والابطال الميامين لطلاب النور:

لقد اشاعوا: «ان الناس يعرفون الله، فالشخص الاعتيادي يؤمن بالله كما يؤمن به ولي من الصالحين».. لأجل التهوين - ولو يسيراً - من قيمة (رسائل النور) العظيمة. وذلك ببيان عدم الحاجة الى المزيد من حشد البراهين الدامغة والدلائل القيمة الضرورية التي تسوقها (رسائل النور) وتكثر منها. وكأن هذه الحشود من البراهين الايمانية لا ضرورة لها، ولا داعي اليها.

ففي استانبول يروّج - وباسلوب رهيب جداً - قسم من المنافقين الذين تورطوا في الكفر المطلق - المشحون بالفوضوية والارهاب - كلاماً من هذا القبيل فيقولون: «لا داعي لنا لمزيد من دروس الايمان لان كل امة بل الناس جميعاً يعرفون الله». وذلك محاولة منهم لصد (رسائل النور) وحرمان الناس من الحقائق الايمانية التي فيها والتي يحتاجها الناس كلهم حاجتهم الى الماء والخبز.

والحال ان معرفة الله سبحانه والايمان بحقائق (لا إله الاّ الله) يستلزم التصديق القلبي، والايمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه

وتعالى، الشاملة المحيطة بكل ما في الكون، وأن مقاليد الأمور ـ من الذرات الى المجرات ـ بجزئياتها وكلياتها في قبضته سبحانه، ولا تدار الاّ بقدرته، وتحت ارادته، فلا شريك له في ملكه.

أما النطق والتفوه بان (الله موجود) ثم اسناد تصريف الأمور في ملكه الى (الأسباب) التي لا عدّ لها والى (الطبيعة) واتخاذها شركاء لله تعالى، ومن ثم الجهل بارادته النافذة، وعلمه المطلق، ومثول كل شيء بني يديه. فضلاً عن عدم الاهتمام بأوامره ونواهيه، والجهل بصفاته الجليلة، وما أرسل من رسله.. لا شك ان هذا كله ليس من الايمان في شيء.

ولا ينطق بهذا ناطق الاّ ليسلّي به نفسه وينجيها من التعذيب الروحي الدنيوي الذي يعذّب به الكفر المطلق أصحابه في الدنيا قبل الآخرة.

نعم ان (عدم الانكار) شيء و(الإيمان) شيء آخر مغاير تماماً، اذ ما من ذي حس أو شعور يمكنه ان ينكر الخالق ذا الجلال الذي تشهد بربوبيته وعظمته وحكمته وجماله جميع أجزاء الكون.. فلو حاول الانكار لحال دونه الكون باجمعه، فيخرس، ويبقى وحيداً سائباً معزولاً شارداً دون سند.

اما الايمان، فلقد علّمنا القرآن الكريم انه: التصديق القلبي بوجود الخالق جل وعلا بصفاته المقدسة وباسمائه الحسنى، مستنداً الى شهادة الكون جميعاً.

وهو ـ أي الايمان ـ تطبيق لما جاءت به الرسل الكرام ـ عليهم السلام ـ من أوامره ونواهيه..

واذا سوّلت للانسان نفسه أمراً، فدونه باب الاستغفار والانابة.. اما ان يقترف أحدٌ بلا اهتمام ولا مبالاة بالأوامر، ودون استغفار وانابة، فلا شك ان ذلك دليل خلوه من الايمان.

كيف تحصل على علم الحقيقة؟

• ان كنت تروم الحصول على علم الحقيقة، والحكمة الحقة، فاظفر بمعرفة الله، اذ حقائق الموجودات كلها، انما هي أشعة اسم الله الحق، ومظاهر اسمائه الحسنى، وتجليات صفاته الجليلة. واعلم ان حقيقة كل شيء مادياً كان أو معنوياً وجوهرياً أو عرضياً، وحقيقة الانسان نفسه انما تستند الى نور من انوار اسمائه تعالى وترتكز على حقيقتة. والاّ فهي صورة تافهة لا حقيقة لها.

غاية العبادة

• ان غاية العبادة امتثالُ امر الله ونيلُ رضاه، فالداعي الى العبادة هو الامر الإلهي، ونتيجتها نيلُ رضاه سبحانه. اما ثمرتها وفوائدها فأخروية. الاّ انه لا تنافي العبادة اذا مُنحت ثمراتٌ تعود فائدتها الى الدنيا، بشرط الاّ تكون علّتها الغائية، وألاّ يُقصد في طلبها. فالفوائد التي تعود الى الدنيا والثمرات التي تترتب عليها من نفسها وتُمنح من دون طلب لا تنافي العبادة، بل تكون بمثابة حث « وترجيح » للضعفاء. ولكن اذا صارت الفوائد الدنيوية او منافعها علةً، او جزءاً من العلة لتلك العبادة او لذلك الورد او الذكر فانها تُبطل قسماً من تلك العبادة. بل تجعل ذلك الورد الذي له خصائص عدة عقيماً دون نتيجة.

فالذين لا يفهمون هذا السر، ويقرأون « الاوراد القدسية للشاه النقشبند » مثلاً التي لها مئات من المزايا والخواص، او يقرأون « الجوشن الكبير » الذي له ألفٌ من المزايا والفضائل وهم يقصدون بعض تلك الفوائد بالذات، لا يجدون تلك الفوائد، بل لن يجدوها ولن يشاهدوها، وليس لهم الحق لمشاهدتها البتة؛ لأنه لا يمكن ان تكون تلك الفوائد علّة لتلك الاوراد، فلا تُطلب منها تلك الفوائد قصداً، لان تلك الفوائد تترتب بصورة فضل إلهي على ذلك الورد

الذي يُقرأ قراءةً خالصةً دون طلب شيء. فأما اذا نواها القارئ فان نيّتها تُفسد اخلاصه جزئياً، بل تُخرجها من كونها عبادةً ، فتسقط قيمتها. بيد ان هنالك امراً آخر، هو أن اشخاصاً ضعفاء بحاجة دائمة الى مشوّق ومرجّح فاذا ما قرأ الاوراد قراءة خالصة لله متذكراً تلك الفوائد فلا بأس في ذلك، بل هو مقبول. ولعدم ادراك هذه الحكمة، يقع الكثيرون فريسة الريب والشك عند عدم وجدانهم تلك الفوائد التي رُويت عن الاقطاب والسلف الصالحين، بل قد ينكروتها.

حاجة أهل الايمان الى حقيقة نزيهة

أخوتي الاعزاء الصديقين الثابتين المخلصين.

سؤال في منتهى الأهمية، يسألنيه من له علاقة بي، ويرد في نفسي أيضاً، فهو سؤال معنوي ومادي في الوقت نفسه. وهو:

لِمَ تقوم بما لم يقم به أحد من الناس، لِمَ لا تلتفت الى قوى على جانب عظيم من الأهمية، تستطيع ان تعينك في أمورك، فتخالف جميع الناس. بل تظهر استغناءً عنهم؟. ثم لِمَ ترفض بشدة ما اتفق عليه (طلاب النور) الخواص من مقامات رفيعة يجدونك أهلاً لها،

فتتجنبها بقوة في حين يتمناها الناس ويطلبونها، فضلاً عن انها ستقدم خدمات جليلة في سبيل نشر (رسائل النور) وتمهد السبيل لفتوحاتها.؟

الجواب:

ان أهل الايمان ـ في الوقت الحاضر ـ محتاجون أشد الحاجة الى حقيقة جليلة نزيهة بحيث لا يمكن ان تكون وسيلة للوصول الى شيء، ولا تابعة لأي شيء كان، ولا سلماً للوصول الى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تدنو منها، أو تنال منها. فالمؤمنون محتاجون الى مثل هذه الحقيقة النزيهة لترشدهم الى حقائق الايمان، حفاظاً على ايمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة.

فانطلاقاً من هذه النقطة فان (رسائل النور) لا تعبأ بالذين يمدّون لها يد المعاونة سواءً من داخل البلاد أومن خارجها ولا تهتم بما يملكونه من قوى ذات أهمية بل ولا تبحث عنهم ولا تتتبعهم. وذلك لكي لا تكون في نظر المسلمين عامة وسيلة للوصول الى غايات دنيوية. فهي لن تكون الا وسيلة خالصة للحياة الخالدة الباقية.

فما دام الأمر هكذا فهي بحقيقتها الخارقة وبقوتها الفائقة تتمكن من ازالة الشبهات والريوب المهاجمة على الايمان.

سؤال:

ان المقامات النورانية والمراتب الأخروية، هي درجات معنوية مقبولة لدى أهل الحقيقة قاطبة بل يرغبون فيها، ولا ضرر منها، وقد منحها لك اخواننا المخلصون بما يحملون نحوك من حسن الظن، وهي وان كانت لا تلحق ضرراً باخلاصكم - حتى ان قبلتها لا يرفضون قبولك لكثرة ما لديهم من حجج وبراهين عليها - الاّ انك ترفض تلك المقامات بغضب وحدّة لا تواضعاً او تجرداً وترفعاً منك، بل حتى تجرح مشاعر اخوانك الذين منحوك تلك المقامات، فتتجنبها بشدة..!

الجواب:

كما ان شخصاً غيوراً يضحّي بنفسه انقاذاً لحياة اصدقائه، كذلك لأجل الحفاظ على الحياة الأبدية للمؤمنين من صولة اعداء خطرين، أضحي اذا اقتضى الأمر — ويقتضي — لا بتلك المقامات التي لا استحقها، بل أيضاً بمقامات حقيقية لحياة أبدية. ذلك ما تعلمته من (رسائل النور)، ألا وهو الشفقة على الخلق.

نعم! ان الأمر يقتضي هكذا في كل وقت، ولا سيما في هذا الوقت، وبخاصة عند استيلاء الغفلة التي انشأتها الضلالة، في خضم هيمنة التيارات السياسية والآراء الفلسفية، وفي عصر كعصرنا هذا الذي هاج فيه الغرور والاعجاب بالنفس، تحاول المقامات الكبيرة دائماً ان تجعل كل شيء اداة طيعة لها، وتستغل كل وسيلة في سبيل غاياتها، حتى تجعل مقدساتها وسيلة لبلوغ مناصب دنيوية. ولئن كانت هناك مقامات معنوية فهي تُستغل استغلالاً أكثر، وتُتخذ وسيلة أكثر طواعية من غيرها؛ لذا يظل المرء دوماً تحت ظل الاتهام، اذ يقول العوام فيه: انه حفاظاً على نفسه أمام نظر الناس، وليبدو أنه أهل لتلك المقامات، يجعل خدمات مقدسة وحقائق سامية وسائل وسلالم لبلوغ مآربه.

وهكذا فلئن كان قبول المقامات المعنوية يفيد الشخص والمقام فائدة واحدة فانه يلحق ألف ضرر وضرر بالناس عامة وبالحقائق نفسها بما يصيبها من كساد بسبب الشبهات الواردة.

حاصل الكلام:

ان حقيقة الاخلاص تمنعني عن كل ما يمكن ان يكون وسيلة الى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية.

نعم، انه على الرغم من ان هذا يؤثر تأثيراً سيئاً في خدمة النور، الاّ أنني ارى أن ارشاد عشرة من الناس ارشاد خادم لحقائق الايمان ارشاداً خالصاً حقيقياً وتعليمهم ان حقائق الايمان تفوق كل شئ؛ اهم من ارشاد الف من الناس بقطبية عظيمة، لان النوعية تفضل الكمية، ولأن اولئك الرجال العشرة يرون تلك الحقائق أسمى من أي شيء آخر، فيثبتون. ويمكن ان تنبت قلوبهم التي هي في حكم البذرة شجرة باسقة. اما اولئك الألوف، فانهم بسبب ورود الشبهات المقبلة من أهل الدنيا والفلسفة وهجومها عليهم، ربما يتفرقون من حول ذلك القطب العظيم، اذ ينظرون اليه أنه يتكلم من زاوية نظره الخاصة، ومن مقامه الخاص ومن مشاعره الخاصة!

لذا أرجح ان أكون خادماً على أن أكون ذا مقام.

حتى انني قلقتُ ودعوت الله على الاّ يصيب شئ - في هذه المرة - ذلك الشخص المعروف الذي أهانني بغير وجه قانوني، وبخمسة وجوه من أوجه الاهانة والتحقير، وفي أيام العيد، تنفيذاً لخطط وضعها أعدائي. حيث أن المسألة انتشرت بين الناس، فخشيت ان يمنحوني مقاماً بما يمكن ان يعدّوا حدوث شيء هو نتيجة كرامة خارقة. لذا قلت: «يارب اصلح شأن هذا، أو جازه بما يستحقه من دون ان يكون العقاب بشكل يومئ الى كرامة معنوية».

صداقة الابطال

- اخي فيضي:

ان كنت ترغب ان تكون مثيل ابطال ولاية اسبارطة، عليك أن تشبههم وتكون مثلهم تماماً. فلقد كان معنا في السجن شيخ عظيم ومرشد مرموق جاذب من اولياء الطريقة النقشبندية ـ رحمه الله ـ جالَس ما يقرب من ستين من طلاب النور طوال اربعة اشهر وحاورهم محاورات مغرية لجلبهم الى الطريقة، الاّ انه لم يتمكن الاّ على ضم واحدٍ منهم الى صفه، وبصورة مؤقتة. أما الباقون فقد ظلوا مستغنين عنه وهو الولي الصالح، اذ كفتهم الخدمة الايمانية الرفيعة التي تقدمها (رسائل النور)، واطمأنوا بها. ولقد فقه اولئك الابطال بقلوبهم الواعية ورأوا ببصيرتهم النافذة الحقيقة الآتية:

ان خدمة رسائل النور هي انقاذ الايمان، اما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية. وأن انقاذ ايمان شخص من الضلال أهم بكثير واجزل ثواباً من رفع عشرة من المؤمنين الى مرتبة الولاية؛ حيث أن الايمان يكسب الانسان السعادة الابدية ويضمن له ملكاً أوسع من الارض كلها. أما الولاية فانها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وابهر. وكما ان رفع مرتبة انسان اعتيادي الى

سلطان، أعظم من رفع عشرة من الجنود الى مرتبة القائد، كذلك الثواب اعظم واجزل في انقاذ ايمان انسان من الضلالة ورفع عشرة من الناس الى مرتبة اولياء صالحين.

فهذا السر الدقيق هو الذي أبصرته قلوب اخوانك عامة في اسبارطة، وان لم تره عقول قسم منهم. ولهذا فضّلوا صداقة شخص ضعيف مذنب مثلي، على صداقة اولياء عظام بل على مجتهدين ان وجدوا.

فبناء على هذه الحقيقة:

لو ان قطباً من اقطاب الأولياء أو شيخاً جليلاً كالگيلاني، أتى الى هذه المدينة وقال لك سأرفع مرتبتك الى مرتبة الولاية في عشرة أيام، وذهبت اليه تاركاً رسائل النور، فلا تستطيع أن تصادق ابطال اسبارطة.

التجرد من المنافع

• اخواني الصادقين الأوفياء:

انه لأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبلهم حقائق الايمان دون تردد يساورهم، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلّمين، يحملون من

الايثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها، بل بمنافعهم الأخروية أيضاً في سبيل منافع أهل الايمان الاخروية. فيكون ذلك الدرس الايماني خالصاً نقياً بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الايمانية، بالحقائق، نيلاً لرضى الله، وعشقاً للحقيقة، وشوقاً الى الحق، والسداد الذي في الخدمة، وذلك ليطمئن كل من يحتاج الى الايمان اطمئناناً تاماً دون حاجة الى ايراد الأدلة له، ولكي لا يقول: « انه يخدعنا ويستميلنا » وليعلم ان الحقيقة قوية بذاتها الى حد لا يمكن ان تتزعزع بأي حال من الأحوال، ولا تكون اداةً طيعة لأي شيء كان.. فيقوى ايمانه عندئذٍ ويقول: « حقاً ان ذلك الدرس الايماني هو عين الحقيقة » وتمحى شبهاته ووساوسه.

اريد لهم الحياة في الايمان

• ثم انكم تعلمون، كما كتبته اليكم في السجن: ان الذين حكموا علي بالاعدام، وآذوني بالتعذيب والالام، لو أنقذوا إيمانهم بـ (رسائل النور)، فاني أصفح عنهم، كونوا شهداء على هذا، فلقد تجنبنا ـ حفاظاً على الاخلاص ـ الانحياز الى جهة في هذه التيارات

العاصفة في الداخل او القادمة من الخارج خلال السنوات الثلاث الماضية وقد بينت ذلك لاخواني.

لحظة في سبيل الله تورث عمراً خالداً

• ان عمر الانسان الفاني يتضمن عمراً باقياً من حيث حياته القلبية والروحية اللتين تحييان بالمعرفة الالهية والمحبة الرّبانية والعبودية السبحانية والمرضيات الرحمانية، بل ينتج هذا العمر الباقي الخالد في دار الخلود والبقاء، فيكون هذا العمر الفاني بمثابة عمر ابدي.

اجل! ان ثانية واحدة يقضيها الانسان في سبيل الله الباقي الحق، وفي سبيل محبته، وفي سبيل معرفته وابتغاء مرضاته، تعد سنة كاملة. بل هي باقية دائمة لايعتريها الفناء. بينما سنة من العمر ان لم تكن مصروفة في سبيله سبحانه فهي زائلة حتما، وهي في حكم لحظة خاطفة، فمهما تطول حياة الغافلين فهي بمثابة لحظات عابرة لاتجاوز ثانية واحدة.

أتريدون العمر الطويل؟

• أيها الناس! أتريدون تحويل عمركم القصير الفاني الى عمر باق طويل مديد، بل مثمر بالمغانم والمنافع؟

فمـا دام الجواب: أن نعم! وهو مقتضى الانسانية، فأصرفوا اذن عمركم في سبيل البـاقي، لأن ايما شيء يتوجه الى البـاقي ينال تجلياً من تجلياته الباقية.

ولما كان الانسان يطلب بإلحاح عـمـراً طويلاً وهو مـشتاق الى البقاء، وثمة وسيلة امامه لتحويل هذا العمـر الفاني الى عمر باق، بل يمكن تبديله الى عمر طويل معنى، فلابد أنه ـ إن لم تسقط انسانيته ـ سيبحث عن تلك الوسيلة وينقب عنها، ولابد انه سيسعى حثيثاً لتحويل ذلك الممكن الى فعل ملموس، ولابد انه سيصبو الى ذلك الهدف باعماله وحركاته كافة.

فدونكم الوسيلة:

اعملوا لله، التقـوا لوجه الله، اسعوا لأجل الله. ولتكـن حركاتكم كلها ضمن مرضاة الله (لله، لوجه الله، لأجل الله) وعندها ترون ان دقائق عمركم القصير قد أصبحت بحكم سنين عدة.

مفلسون ولكننا دلالون لأغلى الجوهرات

● في هذا الوقت الذي يبدو ـ في الظاهر ـ انحساراً وتقـهقـراً؛ لتلك الدعوات الحقة القوية جداً والتي ينضـوي تحت لوائها الملايين

من المؤمنين المستعدين لكل تضحية على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وطرقهم تجاه ضربات الضلالة الرهيبة العنيفة.

في هذا الوقت؛ تحملت (رسالة النور) جميع تلك الهجمات، وحملت على عاتقها الاعباء كافة فشقّت طريقها سابقة جميعاً في طريق الايمان.

لذا، لا يمكن ان يسند تأليفها الى رجل عاجز نصف أمي قضى حياته بين المنفي والسجن وتحت رقابة سلطات الدولة، وتنفيرها الناس من حوله بالدعايات المغرضة. فمثل هذا الرجل لا يمكن ان يكون مالكاً لها. ولا يمكن ان يفتخر بها لنفسه، فهي ليست نابعة من ذكائه ومهارته، انما هي: معجزة من معجزات القرآن الكريم واحسان من احسانات الرحمة الالهية. وكل ما في الأمر ان هذا الرجل وآلافاً من اصدقائه قد مدوا أيديهم الى تلك الهدية الغالية النفيسة، فوقع الخيار عليه في نشرها.

وليس أدل على ذلك من ان هناك من الرسائل ما قد كُتبت في ست ساعات واخرى في ساعتين، وبعضها في ساعة واحدة واخرى في عشر دقائق.

فانا اقسم انه لو كان لي حدّة ذكاء سعيد القديم وقوة حافظته لما

تمكنت ان اكتب في عشر ساعات ما كُتب آنذاك في عشر دقائق ولا يمكنني ان اكتب في يومين ما كتب في ساعة.

فالرسالة التي تبحث في ماهية «انا» (الذات الانسانية)، والتي كتبت في ست ساعات لا يمكن ان تكتب لا من قبلي ولا من قبل الفلاسفة والعباقرة الباحثين، في ستة أيام.

فنحن اذن مع اننا مفلسون ليس لنا شيء. الآ اننا أصبحنا خداماً ودلالين في معرض أغلى الجوهرات.

منهج قرآني كعصا موسى

●(اعلم): ان الفرق بين طريقي في «قطرة» المستفادة من القرآن؛ وطريق أهل النظر والفلاسفة، هو اني أحفر اينما كنت، فيخرج الماء، وهم تشبثوا بوضع ميازيب وانابيب لمجيء الماء من طرف العالم ويسلسلون سلاسل وسلالم الى ما فوق العرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الاوهام. واما ما علّمنا القرآنُ فما هو الا ان أُعطينا مثل «عصا موسى» اينما كنتُ ـ ولو على الصخرة ـ اضربُ عصايَ فينفرجُ ماءُ الحياة، ولا احتياج الى السفر الطويل الى خارج العالم، وتعهّد الانابيب الطويلة من الانكسار.

من مزايا رسائل النور

● ان (رسائل النور) في هذا العصر، وفي هذا الوقت بالذات

عروة وثقى، أي سلسلة قوية لا تنقطع، وهي حبل الله. فمن استمسك به فقد نجا.

• ان (رسائل النور) برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات اعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..

• ان (رسائل النور) ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا استاذ لها الا القرآن، ولا ترجع الا الى القرآن.. ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، فهي تنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة....

• ان الذي يدفع اعتراضات الملحدين التي تتهيأ منذ ألف سنة للنيل من القرآن الكريم، والذي يزيل شبهات الفلاسفة الكفرة التي تراكمت منذ أمد سحيق، ووجدت الآن سبيلاً للانتشار..

والذي يصد حقد اليهود الذين يضمرون العداء والثأر من القرآن الكريم الذي زجرهم وعنّفهم.. والذي يقابل هجوم نصارى مغرورين على القرآن الكريم..

نعم.. ان الذي يدفع هذه الاغارات جميعها هم ابطال ميامين، وقلاع معنوية حصينة للقرآن الكريم وجدوا في كل عصر من العصور. ولكن الآن غدت الحاجة ماسة اكثر الى اولئك الابطال، اذ زاد عدد المهاجمين من واحد واثنين الى المئة. وقلّ عدد المدافعين عن القرآن من المئة الى اثنين أو ثلاثة. فضلاً عن ان تعلّم الحقائق الايمانية من علم الكلام أو المدارس الشرعية يحتاج الى زمن طويل، لا تسمح به أحوال هذا الوقت، فانسدّ ذلك الباب أيضاً. اما (رسائل النور) فهي تعلّم الحقائق الايمانية العميقة جداً باسلوب يفهمه كل الناس في أقصر وقت.

بِمَ حازت الرسائل الأهمية؟

من المعلوم انه يحدث أحياناً ان تكون دقيقة واحدة ذات أهمية تقابل ساعة كاملة وانها تثمر من النتائج ما تنتجه تلك الساعة، وربما ما ينتجه يوم كامل، بل قد تكون بمثابة سنين، ويحدث أحياناً ان تكون ساعة واحدة لها من الأهمية وتعطى من النتائج لسنة من العمر بل العمر كله.

فمثلاً: ان الذي يستشهد في سبيل الله في دقيقة واحدة يفوز

بمرتبة الأولياء.. وان الذي يرابط ساعة واحدة في ثغر المسلمين عند اشتداد البرد وصوله الاعداء الرهيبة، قد تكون له من الأهمية ما لسنة من العبادة.

وهكذا الأمر في (رسائل النور) اذ ان سبب الاهتمام الذي نالته (رسائل النور) نابع من أهمية الزمان نفسه.. ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية.. ومن فتنة آخر الزمان الحاضرة التي استعاذت منها الأمة الاسلامية منذ القدم.. ومن زاوية انقاذ ايمان المؤمنين من صولة الفتن.

فلأجل هذه الاسباب كلها حازت (رسائل النور) أهمية عظمى...

نعم! لقد تزعزت قلاع الايمان التقليدية وتصدعت أمام هجمات هذا العصر الرهيب. ونأت عن الناس وتسترت بحجب واستار. مما يستوجب على كل مؤمن ان يملك ايماناً تحقيقياً قوياً جداً بحيث يمكّنه من المقاومة والثبات وحده تجاه الضلالة المهاجمة هجوماً جماعياً.

ف (رسائل النور) تؤدي هذه الوظيفة في أحلك الحالات وارهبها، وفي أحرج الأوقات واحوجها فتؤدي خدمتها الايمانية

باسلوب يفهمه الناس جميعاً. واثبتت اعمق حقائق القرآن والايمان واخفاها ببراهين قوية، حتى أصبح كل طالب نور وفيّ صادق يحمل في قلبه الايمان التحقيقي ركيزة معنوية للمؤمنين كأنه قطب مخفي من أقطاب الأولياء وذلك بخدماته الايمانية في القرية أو القصبة أو المدينة التي فيها، ورغم انهم غير معروفين وغير ظاهرين ولا يلتقيهم أحد فانهم بعقيدتهم المعنوية القوية صار كل منهم كضابط شجاع في الجيش يبعث مدداً معنوية الى قلوب أهل الايمان فيثبتونهم وينفخون فيهم روح الحماسة والشجاعة.

رسائل النور حصن الايمان الحصين

ان خاصية مميزة راقية لـ (رسائل النور) هي: انه في هذا العصر العجيب يستند الكفر والايمان الى آخر الحصون في المبارزة القائمة بينهما. فـ (رسائل النور) تبين تلك الركائز النهائية بياناً قوياً قاطعاً. وهذه الخاصية تظهر في رسالة «الآية الكبرى» باسطع ما يمكن، اذ تبين الصراع القائم بين الكفر والايمان حتى في آخر ركائزهما. ولنوضح هذا بمثال.

فمثلاً: ان في ميدان حرب عظيمة واثناء اجتماع حشود الجنود

من الطرفين واصطدام فوجين منهما، يمدّ العدو فوجه بالاعتدة والاجهزة الحربية ليشد من قواهم المعنوية ويقويها، فيسخر كل الوسائل الممكنة لذلك، منها التهوين من أهل الايمان المعنوية وتفتيت تساندهم وترابطهم، بمعنى انه: لا يدع وسيلة الاّ يستعملها في سبيل تشتيت قوة أهل الايمان المعنوية التي هي قوة احتياطية ساندة عظيمة. حتى انه يبحث على فوج المسلمين وعلى كل فرد من أفراده مجموعة متساندة مترابطة مشبعة بروح الجماعة والتنظيم الخاص.

واذ يحاول العدو افناء القوة المعنوية لفوج المسلمين افناءً كاملاً، يظهر أحدهم كالخضر عليه السلام ويقول:

« لا تيأس أيها المسلم! فان لك نقطة استناد عظيمة وركيزة لا تتزعزع قط، وجيوشاً جرارة لا تغلب وقوى احتياطية لا تنفد، فلو اجتمعت عليك الدنيا بأسرها لا يمكنها أن تبارز تلك القوى وتتحداها، بل لا يقدر على تدميرها الاّ من يملك قدرة على تدمير الكون بأسره. أما سبب انهزامك في الوقت الحاضر فهو ارسالك جندياً واحداً ليقابل جماعة منظمة وشخصاً معنوياً. فاسعَ أيها المسلم، ليكون كل جندي من جنودك في حكم جماعة وبمثابة شخص معنوي يستمد معنوياته من الدوائر المحيطة به ». وهكذا يمتلئ

قلب المسلم قناعةً واطمئناناً من كلام الخضر. والأمر كذلك في رسالة «الآية الكبرى»؛

اذ ان أهل الضلالة المغيرين على أهل الايمان أصبحوا روحاً خبيثة تسري في الأمة، وشخصية معنوية حاملة لروح الجماعة والتنظيم الخاص تفسد وجدان الناس وقلوبهم عامة في العالم الاسلامي. وتمزق الستار الاسلامي السامي الذي يحيي العقائد التقليدية لدى عوام المسلمين، وتحرق المشاعر المتوارثة أباً عن جد.. تلك المشاعر التي تديم الحياة الايمانية..

فبينما يحاول كل مسلم ـ يائساً ـ لينجو بنفسه من هذا الحريق المرعب الذي شب في أرجاء العالم. اذا بـ (رسائل النور) تأتي كالخضر عليه السلام، وتمد اليه يد العون والمساعدة، واذا برسالة (الآية الكبرى) كالجندي المطيع ذي الخوارق، تستمد الامداد المعنوي والمادي الذي لا يقاوم من آخر جيوشه المحيطة بالكون...أما سائر النقاط في المثال، فعليكم تطبيقها كي تتبين خلاصة ذلك السر.

الرسائل تسمو على معارف الشرق والغرب

ان (رسائل النور) كذلك ليست نوراً مقتبساً، وبضاعة مأخوذة من معلومات الشرق وعلومه، ولا من فلسفة الغرب وفنونه. بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي لمرتبة القرآن الكريم الذي يسمو على الشرق والغرب.

مهمة رسائل النور

● «ان رسائل النور لاتعمّر تخريبات جزئية، ولاترم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمّر ايضاً تخريبات عامة كلية، وترم قلعة محيطة عظيمة ـ صخورها كالجبال ـ تحتضن الاسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لاصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى ايضاً ـ وبيدها اعجاز القرآن ـــ لمداواة القلب العام، وضماد الافكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الاسس الاسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم انها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والايمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة واعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق الف ترياق وترياق (مضاد للسموم) ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حدّ لها.

هذه هي مهمة رسائل النور النابعة من الاعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان اتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للايمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية.

انوار الاسماء الحسنى في الرسائل

• كما ان قسماً من أهل الحقيقة قد نالوا أنوار اسم الله (الودود). ويتوجهون الى واجب الوجود بنوافذ الموجودات، بتجليات ذلك النور وبمرتبته العظمى، كذلك هذا الذي هو لا شيء، ولا يذكر بشيء (يقصد نفسه) قد مُنح وصفاً ليحظى بانوار اسم الله (الحكيم) و(الرحيم) وعند قيامه بخدمة القرآن وحدها، واثناء ادائه بمهمة الدعوة الى تلك الخزينة غير المتناهية.. فجميع (الكلمات) انما هي جلوات تلك الحظوة.

الحقيقة القرآنية في الرسائل

• ان اجزاء (رسائل النور) قد حلّت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وافحمتهم، واثبتت كالشمس وضوحاً ما كان يظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني، اثبتتها لاشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى ادخلت بعضهم الى حظيرة الايمان، فرسائل هذا شأنها لابد ان العالم ـ وما حوله ـ بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم انها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وانها سيف الماسيّ بتار في قبضة أهل الايمان..

رؤيا صادقة ذات مغزى

• قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، وإبان نشوبها رأيت في رؤيا صادقة الآتي:

رأيت نفسي تحت (جبل آرارات) واذا بالجبل ينفلق انفلاقاً هائلاً، فيقذف صخوراً عظيمة كالجبال الى انحاء الأرض كافة. وانا في هذه الرهبة التي غشيتني رأيت والدتي ـ رحمة الله عليها ـ

بقربي. قلت لها: «لا تخافي يا اماه! انه أمر الله. انه رحيم، انه حكيم». واذ انا بتلك الحالة اذا بشخص عظيم يأمرني قائلاً:

ـ بيّن اعجاز القرآن.

أفقت من نومي، وادركت انه سيحدث انفلاق عظيم، وستتهدم الاسوار التي تحيط بالقرآن الكريم من جراء ذلك الانفلاق والانقلاب العظيم، وسيتولى القرآن بنفسه الدفاع عن نفسه حيث سيكون هدفاً للهجوم، وسيكون اعجازه، حصنه الفولاذي، وسيكون شخص مثلي مرشحاً للقيام ببيان نوعٍ من هذا الاعجاز في هذا الزمان ـ بما يفوق حدّي وطوقي كثيراً ـ وادركت اني مرشح للقيام بهذا العمل..

رسائل النور ملك القرآن لا المؤلف

• انني لا أقول هذا الكلام الذي يخص (الكلمات) تواضعاً، بل بياناً للحقيقة، وهي:

ان الحقائق والمزايا الموجودة في (الكلمات) ليست من بنات أفكاري ولا تعود اليّ ابداً وانما للقرآن وحده، فلقد ترشحت من زلال القرآن، حتى ان الكلمة العاشرة (رسالة الحشر) ما هي الاّ

قطرات ترشحت من مئات الآيات القرآنية الجليلة. وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامة.

فما دمتُ أعلم الأمر هكذا وانا ماضٍ راحل عن هذه الحياة، وفانٍ زائل، فينبغي الاّ يربط بي ما يدوم ويبقى من اثر. ومادام عادة أهل الضلالة والطغيان هي الحط من قيمة المؤلف للتهوين من شأن كتاب لا يفي بغرضهم. فلا بد اذن الاّ ترتبط الرسائل المرتبطة بنجوم سماء القرآن الكريم بسند متهريءٍ قابل للسقوط، مثلي الذي يمكن ان يكون موضع اعتراضات كثيرة، ونقدٍ كثير.

وما دام عرف الناس دائراً حول البحث عن مزايا الأثر في أطوار مؤلفه واحواله الذي يحسبونه منبع ذلك الخير ومحوره الأساس. فانه اجحاف اذاً بحق الحقيقة وظلم لها - بناء على هذا العرف - ان تكون تلك الحقائق العالية والجواهر الغالية بضاعة من هو مفلس مثلي وملك لشخصيتي التي لا تستطيع ان تظهر واحداً من الف من تلك المزايا.

لهذا كله أقول: ان الرسائل ليست ملكي ولا مني بل هي ملك القرآن. لذا أراني مضطراً الى بيان ما فيها من محاسن، لكونها قد نالت رشحات من مزايا القرآن العظيم.

نعم، لا تُبحث ما في عناقيد العنب اللذيذة من خصائص في سيقانها اليابسة، فانا كتلك الساق اليابسة لتلك الاعناب اللذيذة..

ولو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة لكنت أقول بكل ما اوتيت من قوة: ان (الكلمات) جميلة رائعة وانها حقائق وانها ليست مني وانما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلم اجمّل انا حقائق القرآن، بل لم اتمكن من اظهار جمالها وانما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها:

وما مدحت القرآن بكلماتي.. ولكن مدحت كلماتي بالقرآن

فما دام الامر هكذا. اقول باسم جمالية الحقائق القرآنية: ان اظهار جمال «الكلمات» التي هي معاكس تلك الحقائق، وبيان العنايات الالهية المترتبة على جمال تلك المرايا، انما هو تحديث بنعمة الله، مرغوب فيه.

اين تكمن قوة الرسائل؟

• انك يا اخي تسأل: لماذا نجد تأثيراً غير اعتيادي فيما كتبته في «الكلمات» المستقاة من فيض القرآن الكريم، قلّما نجده في كتابات العارفين والمفسرين. فما يفعله سطرٌ واحد منها من التأثير لا تفعله

صحيفة كاملة من غيرها، وما تحمله صحيفة واحدة من قوة التأثير لا يحمله كتاب كامل آخر؟

فالجواب: وهو جواب لطيف جميل، اذ لما كان الفضل في هذا التأثير يعود الى اعجاز القرآن الكريم وليس الى شخصي أنا، فسأقول الجواب بلا حرج:

نعم! هو كذلك على الأغلب؛ لأن (الكلمات):

تصديقٌ وليست تصوراً[1].. وإيمانٌ وليست تسليماً[2].. وتحقيق وليست تقليداً[3].. وشهادة وشهود وليست معرفة[4].. واذعان وليست التزاماً[5].. وحقيقة وليست تصوفاً.. وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءً

وحكمة هذا السر هي:

---

(١) التصديق: هو ان تنسب باختيارك الصدق الى الخبر. بينما التصور: هو ادراك المعرفة من غير ان يحكم عليه بنفي أو إثبات وفي المنطق: التصديق هو ادراك النسبة التامة الخبرية على وجه الاذعان. والتصور: ادراك ما عدا ذلك. ـ المترجم.

(٢) مأخوذة من قوله تعالى: «قل لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا». ـ المترجم.

(٣) التحقيق: اثبات المسألة بدليلها بينما التقليد: قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل. ـ المترجم.

(٤) الشهادة: هي اخبار عن عيان. والشهود: هو معرفة الحق بالحق. اما المعرفة: فهي ادراك الشيء ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم. ـ المترجم.

ان الاسس الايمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، اذ كانت توضيحات العارفين - في الامور الفرعية - مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

اما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدَها الى اسس الايمان واركانه، فوهبني الحكيم الرحيم - الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب - وانعم عليّ سبحانه شعلةً من «ضرب الامثال» التي هي من اسطع معجزات القرآن واوضحها، رحمةً منه - جل وعلا - لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فللّه الحمد المنة:

فبمنظار «ضرب الامثال» قد أُظهِرَتْ الحقائق البعيدة جداً انها قريبة جداً.

وبوحدة الموضوع في «ضرب الامثال» قد جُمّعتْ أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً.

وبسلّم «ضرب الامثال» قد تُوصِّل الى اسمى الحقائق واعلاها بسهولة ويسر.

ومن نافذة «ضرب الامثال» قد حُصِّل اليقين الايماني بحقائق الغيب واسس الاسلام مما يقرب من الشهود.

فاضطر الخيال الى الاستسلام وأُرغم الوهم والعقل الى الرضوخ، ل النفس والهوى. كما اضطر الشيطان الى إلقاء السلاح.

انه مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في اسلوب كتاباتي، ـانها ليست مني، وليست من بنات افكاري، بل هي من لمعات ضرب الامثال» التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي يه الا الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي لا التضرع والتوسل اليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف.

فالداء مني والدواء من القرآن الكريم.

الرسائل تؤدي المهمة

● اخواني الأوفياء الصادقين:

لا تقلقوا أبداً، فاني لا أُبين لكم حالة مرضي الشديد الذي تابني من جراء التسميم ـ بتدبير مقصود ـ الاّ لأنال دعواتكم. فلا اعي للاضطراب والقلق، اذ لله الحمد والشكر لم يمنعني ذلك لمرض من قراءة اورادي ولا واجب تصحيح الرسائل. أسأله تعالى ان كتب لي فيه أجراً عظيماً، فانا راضٍ عن هذا المرض ـ من جهة ـ ـلا تتألموا أيضاً لحالي، ولقد أوشكت مهمتي في الحياة على

الانتهاء. وتستطيع كل نسخة من نسخ (رسائل النور) ولا سيما المجموعات منها، ان تؤدي وظيفتي بما يفوق حسن ظنكم في (سعيد) بكثير، بل تؤديها فعلاً، وكل طالب فدائي من طلاب النور الخواص يمكنه ان يقوم بوظيفة ذلك (السعيد) على أتم وجه. فلئن نقص (سعيد) واحد فيما بينكم، فان مئات السعيدين المعنويين - أي الرسائل - وألوف السعيدين الماديين - أي طلاب النور - يستطيعون القيام بتلك المهمة خير قيام. وهم فعلاً يقومون بها.

وبناءً على هذه الحقيقة، لا تهتموا كثيراً بشخصي ولا بالحوادث التي تجري عليّ، بل اسألوا الله سبحانه، وادعوه متضرعين اليه ان يثبتنا على الاخلاص.

وعاونوني - يا اخوتي - بدعواتكم - التي لا ريب في استجابتها - لما ألمّ بي من شيخوخة ومن تألمات كثيرة.

الدرس الذي تُلقّنه رسائل النور

- واعلن هذا إيضاً اعلاناً صريحاً قاطعاً:

ان (رسائل النور) ملك القرآن العظيم، فانّى لي الجرأة ان ادّعي تملكها! لذا لا تسري أخطائي وتقصيراتي فيها قطعاً، فانا لست الاّ خادماً مذنباً لذلك النور الباهر،ودلالاً داعياً في متجر الجوهرات والالماس. فأحوالي المضطربة لا تؤثر فيها ولا تمسها أصلاً.

وفي الحقيقة ان الدرس الذي لقنتنا اياه (رسائل النور) هو: التمسك بحقيقة الاخلاص، وترك الغرور، ومعرفة النفس انها مقصرة دائماً، والحذر الشديد من الاعجاب بالنفس. فنحن لا نظهر انفسنا بل نظهر الشخصية المعنوية لـ (رسائل النور) ونبينها.

اذ ان جلب الاعجاب لأنفسنا وكسب الثناء عليها ومدحها ما هو الاّ إفساد للاخلاص الذي هو أهم أساس من أسس (رسائل النور).

شرعية الرسائل وعلميتها

• لقد انقادت طائفة المدارس الشرعية لطائفة التكايا والزاويا الصوفية منذ سالف العصور، أي سلّموا لهم القياد وراجعوهم للحصول على ثمار الولاية. وتحرّوا عندهم أذواق الايمان وانوار الحقيقة. حتى كان عالم كبير من علماء المدرسة الشرعية يقبّل يد شيخ ولي صغير من أولياء الزاوية الصوفية ويتبعه، فطلبوا ذلك النبع الفياض بالماء الباعث على الحياة في التكايا والزوايا.

بينما أظهرت (رسائل النور) بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم - كما هو ماثل امامكم. ان في تلك المدرسة الشرعية ايضاً هناك طريق

قصيرة توصل الى انوار الحقيقة، وفيها ينبوع ثر للعلوم الايمانية هي أصفى وانقى من غيرها. وانه في العلم الشرعي، وفي الحقائق الايمانية وعلم كلام أهل السنة، من العمل والعبودية وطريق الولاية ما هو اسمى واحلى واقوى من الطريقة الصوفية.

لا تحمّلوا أخطاءنا على الرسائل

• لا يحق لأحد ان يهاجم (رسائل النور) أو ان يطعن فيها بسبب أخطائي الشخصية، أو اخطاء بعض اخواني، ذلك لأن (رسائل النور) تستند الى القرآن ومرتبطة به أوثق ارتباط، والقرآن مربوط بالعرش الأعظم مباشرة، فمن ذا الذي يستطيع ان يجاوز حدّه فيمد يده الى هناك ليحلّ تلك الحبال المتينة؟.

ألسنة الرسائل لن تكف عن النطق

• ان التهوين من شأني باخطائي الشخصية التي لا أهمية لها، واسقاطي في نظر عامة الناس بانزال الاهانات بي.. لا يضر (رسائل النور) بل يمدّها من جهة. اذ لو سكت لساني الفاني فان ألسنة مئات الآلاف من نسخ (رسائل النور) لن تكفّ عن النطق، ولن تسكت عن الكلام والتبليغ، كما ان الالوف من طلبتها الأوفياء

الذين منحوا قوة النطق ووضوح الحجة، سيديمون تلك الوظيفة النورية القدسية الكلية ان شاء الله الى يوم القيامة، كما كان شأنهم الى الآن.

ما تكسبه الرسائل طلابها

ان ما تكسبه (رسائل النور) طلابها في هذا الزمان الرهيب من نتيجتين ثابتتين بالتحقيق جديرتان بالأهمية. وهما تفوقان أي شيء آخر حتى لا تدعا حاجة الى النظر الى مقامات معنوية وأمور أخرى غيرهما.

فالنتيجة الاولى هي:

ان من يدخل دائرة (رسائل النور) بوفاء صادق واقتناع كامل، تختم حياته بالحسنى، أي يدخل القبر بالايمان. فهناك أدلة قوية على هذا.

والنتيجة الثانية هي:

ان ما تحقق وتقرر في دائرة النور من الاشتراك المعنوي في أعمال الآخرة الذي دفعنا اليه دون اختيارنا ولا علمنا، يدفع كل طالب حقيقي صادق الى القيام بالدعاء والاستغفار والعبادة بالوف الالسنة

والقلوب، والتسبيح لله باربعين ألف لسان كما هو لدى بعض الملائكة. ويدفعه الى التحري عن الحقائق السامية والرفيعة بمئات الألوف من الأيدي كما تتحرى حقيقة (ليلة القدر) في شهر رمضان المبارك.

ولأجل مثل هذه النتيجة: يرجّح طلاب النور خدمة النور على مقام الولاية ولا يتطلعون الى الكشف والكرامات ولا يسعون لقطف ثمرات الآخرة في الدنيا. ويفوّضون توفيقهم في نشر الرسائل وجعل الناس يتقبلونها والترويج لها، ومن ثم نيل مظاهر الشهرة والاذواق والعناية الالهية التي يستحقونها، وامثالها من الأمور التي هي خارجة عن نطاق وظيفتهم، يفوضونها كلها الى الله سبحانه ولا يتدخلون فيها. فلا يبنون أعمالهم وحركاتهم على تلك الأمور وانما يعملون باخلاص تام قائلين: تكفينا وظيفتنا، وهي خدمة الايمان ليس الاّ.

الجماعة لا الفرد

• هذا الزمان، زمان الجماعة، فالأهمية والقيمة تكونان حسب الشخصية المعنوية للجماعة. وينبغي الاّ تؤخذ بنظر الاعتبار ماهية الفرد المادية الفردية الفانية، ولا سيما شخص ضعيف مثلي الذي لا حول له ولا قوة، فان اعطاءه أهمية تفوق قيمته ألف درجة وحمل الوف الارطال على كاهله الذي لا يتحمل رطلاً واحداً لا شك انه ينسحق تحت الحمل هذا.

الشخص المعنوي

• ان هذا الزمان ـ لأهل الحقيقة ـ زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية واظهار انانيته وغروره. فالشخص المعنوي الناشيء من الجماعة هو الذي يهيمن ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد القاء شخصيته وانانيته وغروره التي

هي كقطعة ثلج في ذلك الحوض واذابتها فيه. والاّ ستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباءً وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضاً.

الاشتراك المعنوي الأخروي

• اشترك خمسة أشخاص في اشعال مصباح زيتي. فوقع على أحدهم احضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه وعلى الأخير علبة الكبريت.. فعندما اشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكاً لمصباح كامل. فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، اذاً لأصبح منعكساً في مرآته مصباح كامل ـ مع ما في الغرفة ـ من دون تجزؤ أو نقص..

وهكذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية، بسر الاخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضمّ المساعي بسر الاتحاد، اذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منهم.. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق.

خيرات كلية جماعية

• ما دمت يا أخي تملك همة عالية وقوة راسخة من الايمان، فكن طالباً لرسائل النور واستمسك بها باخلاص تام وتواضع تام وثبات تام. كي تشارك المغانم الأخروية لألوف، بل مئات الألوف من الطلاب وذلك على وفق دستور الاشتراك المعنوي الأخروي في الاعمال. وبهذا تتحول حسناتك وخيراتك الى حسنات وخيرات كلية جماعية تكسبك تجارة رابحة في الآخرة بعد ان كانت حسنات جزئية فردية.

لا «انا» بل «نحن»

ان الموالين للضلالة يرومون سحب اخواني عني مستفيدين من الانانية والغرور الكامن في الانسان، وفي الحقيقة ان اخطر واضعف عرق ينبض في الانسان انما هو عرق الغرور، اذ يمكنهم بالتربيت على ذلك العرق وتلطيفه ان يدفعوه الى كثير من المفاسد.

ياأخواني! كونوا حذرين، لئلا يترصدوكم في هذا الجانب فيصيدوكم من هذا العرق؛ عرق الغرور.

ان اهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا «أنا» فهو يجوب بهم

في وديان الضلالة. فأهل الحق لايستطيعون خدمة الحق إلاّ بترك «أنا» وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم «أنا» فعليهم تركه، لئلا يشبهوا اولئك، اذ يكونون موضع ظنهم انهم مثلهم يعبدون النفس. لذا فان عدم ترك «أنا» بخس للحق تجاه خدمة الحق.

زد على ذلك ان الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها ترفض «أنا» وتطلب «نحن»، فلا تقولوا: أنا! بل قولوا: نحن.

ولاشك انكم قد اقتنعتم ان أخاكم هذا الفقير لم يبرز الى الميدان بـ«أنا»، ولا يجعلكم خداماً لانانيته، بل اراكم نفسه خادماً للقرآن لايملك انانية، فليس هو الا قد اتخذ كما بيّنه لكم - مسلك عدم الاعجاب بالنفس وعدم موالاة «أنا»، فضلاً عن انه قد اثبت لكم بدلائل قاطعة ان الآثار والمؤلفات المعدّة لافادة الناس كافة هي ملك الجميع، اي انها ترشحات من القرآن الكريم لايسع أحد ان يتملكها بأنانيته.

تذويب الانانية والغرور

● انه ينبغي امداد (رسائل النور) بالقوة، والسعي في توسيع

دائرة نشرها، وبث الشوق في طلابها، باذابة الانانية والقائها كقطعة ثلج في حوض الماء السلسبيل للجماعة ليغنم المرء ذلك الحوض الكوثري كاملاً. والاّ فانه بفتحه نهجاً جديداً وسلوكه طريقاً آخر، يضرّ هذه الجادة القرآنية المستقيمة القويمة من دون ان يشعر، ويتضرر هو بنفسه أيضاً، بل قد يكون عمله نوعاً من العون للزندقة دون شعور منه..

لا تسندوا حصيلة الجماعة لشخص واحد

• (اعلم): ان من ظلم البشر اعطاء ثمرات مساعي الجماعة لشخص وتوهّم صدورها منه، فيتولد من هذا الظلم شرك خفي؛ اذ توهّم صدور محصّل كسب الجماعة وأثَر جزئهم الاختياري من شخص، لا يمكن الا بتصور ذلك الشخص ذا قدرة خارقة ترقت الى درجة الايجاد، وما آلهة اليونانيين والوثنيين، الا من تولدات أمثال هذه التصورات الظالمة الشيطانية.

اساس مسلك النور: الاخوة

لو كان مسلكنا طريقة خاصة ومشيخة، لكان هناك اذاً مقام

واحد، أو عدد محدود منه، ولكان هناك مرشحون كثيرون لذلك المقام. وعندها كان يمكن ان تحدث الغبطة والانانية في النفوس. ولكن مسلكنا هو الاخوة، لا غير، فلا يدعي الأخ على أخيه الأبوة، ولا يتزيا بزي المرشد له. فالمقام هنا في الاخوة فسيح واسع، لا مجال فيه للمزاحمة بالغبطة، وان كان لابد فالأخ معاون لأخيه مكمل لعمله، وظهير له.

أهمية التساند والترابط

• ان سبب اهتمامي البالغ بتساندكم وترابطكم، لا ينحصر في منافعه التي تكسبها رسائل النور وتمسها، وانما لعوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن الايمان التحقيقي، فهم أحوج ما يكونون الى نقطة استناد والى حقيقة ثابتة عضت عليها جماعة بالنواجذ، فيرتكزون على تلك الحقيقة القاطعة للثبات تجاه تيارات الضلالة الرهيبة، حيث تكون لهم حجة قوية، ومرشداً ثبتاً، ومرجعاً لا ينخدع ولا يخدع ولا يتراجع ولا يتزعزع.

فمن يشاهد ترابطكم المتين وتساندكم القوي يطمئن قلبه، اذ يدرك أن هناك حقيقة راسخة لا تُضحى بشيء، ولا يغلبها شيء،

لا تحنى رأسها لأهل الضلالة.. فيقوى ايمانه، وتعمق قوته المعنوية
ينجو ـ باذن الله ـ من الالتحاق بصفوف أهل السفاهة والدنيا.

روابط الاخوة

• فما بالك بالايمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك
ه من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج
لاخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الاسماء الحسنى. فيرشدك مثلاً الى:

ان خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما
واحد.. وهكذا واحد واحد الى ان تبلغ الألف. ثم ان نبيكما
واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد الى ان
تبلغ المئة: ثم انكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة
واحدة، في بلاد واحدة.. وهكذا واحد واحد الى أن تبلغ العشرة.

فلئن كان هناك الى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة
والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والاخوة، ولها من القوة المعنوية ما
يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل
عليها اسباباً واهية أوهن من بيت العنكبوت تلك التي تولد الشقاق
والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداء وغلاً حقيقياً لأخيه

المؤمن! أليس هذا اهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الاسباب التي توجب المحبة؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التي تفرض الاخوة؟ فان لم يكن قلبك ميتاً ولم تنطفيء بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيداً.

التزم وظيفتك

(اعلم): أيها السعيد الغافل الفضولي!

انك تترك وظيفتك وتشتغل بوظيفة ربك. فمن ظلمك وجهلك؛ تركك لوظيفة العبودية الخفيفة التي هي في وسعتك. وحملك على ظهرك ورأسك وقلبك الضعيف، وظيفة الربوبية التي تختص به ﴿الذي خَلقكَ فسوّيٰك فَعَدلكَ في اي صورة ما شاء ركّبك﴾(الانفطار/٧،٨) فالتزم وظيفتك، وفوّض اليه وظيفته لتسعد وتستريح.. والاّ صرت عاصياً شقياً وخائناً غوياً.

بلّغ رسالتك واترك أمر نجاحها لله

• ان الذين يعملون في طريق الحق ويجاهدون في سبيله، في الوقت الذي ينبغي لهم أن يفكروا في واجبهم وعملهم فانهم

يفكرون فيما يخص شؤون الله سبحانه وتدبيره، ويبنون اعمالهم عليه فيخطئون.

ورد في كتاب «ادب الدنيا والدين» أن إبليس ـ لعنة الله عليه ـ حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام قال: ألستَ تقول: إنه لن يُصيبك الاّ ما كتبه الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارمِ نفسك من ذروة هذا الجبل فانه إن يقدّر لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون! إن لله أن يختبر عبدَه وليس للعبد أن يختبر ربّه.

أي: ان الله سبحانه هو الذي يختبر عبده ويقول له: إذا عملت هكذا سأوافيك بكذا، أرأيتك تستطيع القيام به؟. يختبره.. ولكنِ العبد ليس له الحق ولا في طوقه اصلاً أن يختبر ربّه ويقول: اذا قمت بالعمل هكذا فهل تعمل لي كذا؟. فهذا الاسلوب من الكلام الذي يومئ بالاختبار سوءُ ادبٍ تجاه الربوبية، وهو منافٍ للعبودية. فما دام الامر هكذا، فعلى المرء أن يؤدي واجبه ولا يتدخل بتدبير الله سبحانه وقَدَره.

كان جلال الدين خوارزم شاه وهو احد ابطال الاسلام الذي انتصر على جيش جنكيزخان انتصارات عديدة. كان يتقدم جيشه الى الحرب، فخاطبه وزراؤه ومقرّبوه: سيُظهرك الله على عدوك، وتنتصر عليهم!.

فاجابهم: «عليّ الجهاد في سبيل الله إتباعاً لأمره سبحانه ولا حق لي فيما لم أُكلف به من شؤونه، فالنصر والهزيمة من تقديره سبحانه» ولبلوغ هذا البطل العظيم ادراك هذا السر الدقيق في الاستسلام الى امر الله والانقياد اليه، كان النصرُ حليفه في اغلب الاحيان نصراً خارقاً.

نعم انه ينبغي الاّ يفكر الانسان ـ بما لديه من الجزء الاختياري ـ بالنتائج التي يتولاّها الله سبحانه.

فمثلاً: يزداد حماس بعض الاخوة وشوقهم الى رسائل النور باستجابة الناس لها، فينشطون اكثر.. ولكن عندما لا يستجيب لها الناس، تفتُر قوة الضعفاء المعنوية وتنطفئ جذوة شوقهم. والحال ان سيدنا الرسول الاعظم ﷺ وهو الاستاذ الاعظم ومقتدى الكل والرائد الاعلى قد اتخذ الامر الإلهي: ﴿ وما على الرسول الاّ البلاغُ المبينُ ﴾ (النور: ٥٤) دليلاً ومرشداً له، فكلما أعرض الناس عن الاصغاء وتولّوا عنه ازداد جهاداً وسعياً في سبيل التبليغ. لانه علِم يقيناً ان جعل الناس يصغون ويهتدون انما هو من شؤون الله سبحانه، وفق الآية الكريمة ﴿ إنك لاتهدي مَن أحببتَ ولكنَّ اللهَ يَهدي مَن يشاءُ ﴾ (القصص: ٥٦). فما كان يتدخل ﷺ في شؤونه سبحانه.

لذا فيا اخوتي! لا تتدخلوا في اعمال وشؤون لا تعود اليكم ولا تبنوا عليها اعمالكم ولا تتخذوا طور الاختبار تجاه خالقكم.

الطلاب يواصلون اداء المهمة

• ثم في هذه الأثناء، فكرت كثيراً في مهمتي في الحياة الدنيا. فقلت: ترى أيؤدي طلاب النور بعد وفاتي تلك المهمة بدلاً مني، وفي هذا الزمان الرهيب؟.. وحينما كنت مهموماً بهذا اذا بطلاب (دنيزلي) و(ميلاس) و(اسبارطة) و(اينبولي) يعينون الخدمة ويمدونها بالتزام كامل وبهمة مستمدة من الصحابة الكرام، اغاثةً، تفوق مئة درجة عمّا كنت آمل منهم. بل ساقوا الآخرين، من معلمين وعلماء الى تلك الخدمة حتى ابقوني في حيرة مضاعفة.

من لوازم الفضيلة

• ان شأن الولاية والمشيخة والعظمة: التواضع والتجرد وهما لازم الفضيلة وخاصّة الكمال ورفعة الشأن لا التكبر والتحكم. فمن تكبّر فهو صبي متشيخ وطفل متكهل فلا تعظموه..

بث السلوان

• اخوتي الاعزاء الصدّيقين !

ان الذين اجتازوا الامتحان الشديد في هاتين المدرستين اليوسفيتين - القديمة والجديدة[١] - ولم يتزعزعوا، ولم يدعوا درسهم الايماني، ولم يتخلوا عن صفة الطالب مهما كانت الظروف، ولم تنل من معنوياتهم هذه الكثرة الهائلة من الهجمات.. ان هؤلاء يرحب بهم الملائكة والروحانيون، كما سيرحب بهم أهل الحقيقة والجيل المقبل. فأنا مقتنع بهذا، ولكن الضيق المادي شديد لوجود المرضى والفقراء المساكين فيما بينكم. فتجاه هذا الأمر، ليكن كلٌ منكم مسلياً لكلٍ من اولئك، وقدوة حسنة له في الصبر والاخلاق، وأخاً شفيقاً عليه في التساند واللطف، ومخاطباً ذكياً ومجيباً عن اسئلته اثناء الدرس الايماني، ومرآة صافية لانعكاس السجايا الفاضلة.. وعندئذٍ تجدون المضايقات قد ولّت واضمحل السأم وتلاشى الضجر.

نعم! هكذا أتصور الأمر وأتسلى به يا اخوتي يا من أحبهم أكثر من روحي.

---

(١) المقصود: سجن دنيزلي وآفيون – المترجم

ليضمد بعضكم جراح بعض

• اخوتي الصديقين الاعزاء

ان انجع علاج في هذه الدنيا، ولا سيما في هذا الزمان، وبخاصة للمبتلين بالمصائب، ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد ويأس قاتم هو:

تسلية أحدهم الآخر، وادخال السرور في قلبه، وامداد قوته المعنوية وضماد جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغموم، كأخ حقيقي مضح. اذ الأخوة الحقة والاخروية التي تربطكم لا تتحمل التحيز والاغاظة.

فانا اعتمد عليكم كلياً واستند اليكم، وانتم على علم بقراري وعزمي بانني عازم على ان اضحي مسروراً لأجلكم أنتم، بروحي، لا براحتي وحيثيتي وشرفي وحدها، بل قد تشاهدون هذا مني فعلاً، حتى انني أقسم لكم:

انه منذ ثمانية أيام يتألم قلبي من عذاب شديد، من جراء حادثة تافهة سببت دلالاً ظاهرياً بين ركنين من أركان النور وإحزان احدهما الآخر بدلاً من السلوان. فاستصرخت روحي وقلبي وعقلي معاً، وبكت قائلة:

«اواه! اواه! الغوث الغوث يا أرحم الراحمين، احفظنا وأجرنا من شياطين الجن والانس، واملأ قلوب اخواني بالوفاء التام والمحبة الخالصة والاخوة الصادقة والشفقة الكاملة».

فيا اخوتي الثابتين الصلبين صلابة الحديد! اعينوني في مهمتي! فان قضيتنا في منتهى الدقة والحساسية، فلقد سلمت الى شخصكم المعنوي جميع مهماتي، لشدة ثقتي واطمئناني بكم، فعليكم اذن ان تسعوا ـ ما وسعكم ـ لإمدادي وعوني، فعلى الرغم من ان الحادثة تافهة جزئية، فان وقوع شعرة، مهما كانت صغيرة في عيننا تؤلم، وفي ساعتنا توقفها.

أقلّ عثرات أخيك

• كان فيما مضى شخص غير مسلم، قد وجد وسيلة لبلوغ مرتبة خليفة الشيخ ضمن السير والسلوك في طريقة صوفية، وشرع بوظيفة الارشاد. وعندما بدأ مريدوه الذين يتولى تربيتهم بالرقي الروحي، كشف احدهم، ان مرشدهم هذا في منتهى السقوط والتردي. ثم أدرك ذلك الشخص ايضا ـ بفراسته ـ انه قد كُشف حاله، فقال لذلك المريد: لقد عرفتني اذاً!

قال له المريد: «ما دمتُ قد بلغت هذا المقام بارشادكم، سأجلّك واوقرك بعد الآن أعظم من قبل».

وبدأ بالتضرع الى الله العلي القدير ان يهدي مرشده الى سواء السبيل، حتى أنقذه مما فيه، وفاق مريديه كلهم في الرقي الروحي، فظل مرشداً حقيقياً لهم.. اذن قد يكون المريد احيانا شيخاً لشيخه.

فالفضل والسبق اذاً هو: ان لا يترك الطالب أخاه، عندما يراه مبتلىً بفساد، بل يزيد اخوته معه، ويسعى لاصلاحه. فهذا هو شأن الأوفياء الصادقين. اما المنافقون فيستغلون مثل هذه الأوضاع ويروّجون: «ان هؤلاء الذين تهتم بهم كثيراً ليسوا سوى اناس اعتياديين عاجزين». وذلك افساداً لحسن الظن القائم بين الاخوة، وتهويناً لتساندهم.

لا تنشغلوا بلسعات البعوض

● اخواني الاعزاء

لا داعي الى درس وتوجيه جديد، اذ شاهدت بين رسائلكم رسائل «الاخلاص» ـ هذه المرة ـ فأحيلكم الى دروس تلك الرسائل. الاّ انني انبّه الى ما يأتي:

لما كان مسلكنا يستند الى الاخلاص، ومبني على الحقائق الايمانية فاننا مضطرون ـ وفق مسلكنا ـ الى عدم التدخل في أمور الحياة الاجتماعية والحياة الدنيوية، مالم نضطر اليها. وعلينا التجرد والابتعاد عن تلك الحالات التي تؤدي الى التنافس والتحيز والتنازع.

فأسفاً، وألف أسف، لأهل العلم ولأهل التقوى الضعفاء الذين يتعرضون - في الوقت الحاضر - الى هجوم ثعابين مرعبة، ثم يتحججون بهفوات جزئية شبيهة بلسع البعوض، فيعاونون بانتقاد بعضهم البعض تلك الثعابين الماردة، ويمدّون المنافقين الزنادقة في تدميرهم وتخريبهم، بل يساعدونهم في هلاك انفسهم بايدي اولئك الخبثاء.

الافتخار بصحبة السالكين

نعم، ان عبيد النفس السفلة من ذوي القلوب الميتة والهائمين على الشهوات الدنيئة يتحدون ويتفقون فيما بينهم على منافع دنيوية عاجلة.. بينما ينبغي لأهل الهداية الاتفاق الجاد والاتحاد الكامل والتضحية المثمرة والاستقامة الرصينة فيما بينهم، حيث انهم يتوجهون بنور العقل وضياء القلب الى جني كمالات وثمرات أخروية خالدة آجلة، ولكن لعدم تجرّدهم من الغرور والكبر والافراط والتفريط يضيّعون منبعاً عظيماً ثراً يمُدهم بالقوة، ألا هو الاتفاق. فيضيع بدوره الاخلاص ويتحطم، وتتضعضع الاعمال الاخروية وتذهب سدى، ويصعب الوصول الى نيل رضى الله سبحانه.

وعلاج هذا المرض الوبيل ودواؤه هو:

الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وربط عرى المحبة معهم تطبيقاً للحديث الشريف: «الحب في الله»(١) ثم السير من خلفهم وترك شرف الامامة لهم وترك الاعجاب بالنفس والغرور، بناء على احتمال كون سالك الحق اياً كان هو خيراً منه وافضل، وذلك يسهل نيل الاخلاص. ثم العلم بأن درهماً من عمل خالص لوجه الله اولى وارجح من ارطال من اعمال مشوبة لا اخلاص فيها. ثم ايثار البقاء في مستوى التابع دون التطلع الى تسلم المسؤولية التي قلما تسلم من الاخطار.

بهذه الامور يعالج هذا المرض الوبيل ويعافى منه، ويظفر بالاخلاص، ويكون المؤمن ممن ادى اعماله الاخروية حق الأداء.

ترك المناقشات الداخلية

• فيا اهل الحق! ويا اهل الشريعة والحقيقة والطريقة! ويا من تنشدون الحق لاجل الحق! اسعوا في دفع هذا المرض الرهيب، مرض الاختلاف بتأدبكم بالادب الفرقاني العظيم، الا وهو: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (الفرقان: ٧٢)، فاعفوا عن هفوات اخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا ابصاركم عن عيوب بعضكم

البعض الآخر، ودعوا المناقشات الداخلية جانباً. فالاعداء الخارجيون يغيرون عليكم من كل صوب، واجعلوا انقاذ اهل الحق من السقوط والذلة من اهم واجباتكم الاخروية واولاها بالاهتمام، وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع اخوانكم في الدين ونهج الحق المبين باشد مما يستمسك به الدنيويون الغافلون، واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف.

انسوا خلافاتكم

ان اشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند اغارة العدو الخارجي عليهم.

واذا تقدّر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الاسلام ويدعون اليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبل اغارة الاعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الاعداء حولهم واطبقوا

عليهم من كل مكان . . ان هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الاسلام والمسلمين.

ادخلوا قلعة «إِنما المؤمنون اخوة»

• فيا معشر المؤمنين، أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء المتأهبين للاغارة على عشيرة الايمان؟ انهم يزيدون على المائة وهم يحيطون بالاسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة. فبينما ينبغي ان يتكاتف المسلمون لصد عدوان واحد من اولئك، يعاند كل واحد وينحاز جانباً سائراً على وفق أغراضه الشخصية كأنه يمهد السبيل لفتح الابواب أمام اولئك الاعداء ليدخلوا حرم الاسلام الآمن.. فهل يليق هذا بأمة الاسلام؟

وان شئت أن تعدد دوائر الاعداء المحيطة بالاسلام، فهم ابتداءً من أهل الضلالة والالحاد، وانتهاءً الى عالم الكفر ومصائب الدنيا واحوالها المضطربة جميعها، فهي دوائر متداخلة تبلغ السبعين دائرة، كلها تريد ان تصيبكم بسوء، وجميعها حانقة عليكم وحريصة على الانتقام منكم، فليس لكم امام جميع اولئك الاعداء الالداء الا ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، الا وهي الاخوة

الاسلامية. فأفق أيها المسلم! واعلم ان زعزعة قلعة الاسلام الحصينة بحجج تافهة واسباب واهية خلاف للوجدان الحي وأي خلاف، ومناف لمصلحة الاسلام كلياً.. فانتبه!. ولقد ورد في الاحاديث الشريفة ما مضمونه: ان الدجال والسفياني وامثالهما من الاشخاص الذين يتولون المنافقين ويظهرون في آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين الناس والمسلمين ويستفيدون من تكالبهم على حطام الدنيا، فيهلكون البشرية بقوة ضئيلة، وينشرون الهرج والمرج بينهما ويسيطرون على أمة الاسلام ويأسرونها.

ان كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لاغلال الذل والهوان، فافيقوا من رقدتكم، وعودوا الى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾(الحجرات: ١٠)، وحصنوا انفسكم بها من أيدي اولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية.. والاّ تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، اذ لا يخفى ان طفلاً صغيراً يستطيع ان يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تقوم بدور في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان.

فيا معشر اهل الايمان!

ان قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية

وانانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جداً تتمكن ان تذيقكم الذل والهلاك.

عدم البحث عن مقامات معنوية

• ثم ان ما يعدّ فينا جانباً ضعيفاً وعرقاً لا يقاوم - من حيث خدمتنا - مع انه - من حيث الحقيقة - جانب مقبول لدى الناس كلهم، بل يتلهفون الى ادراكه والظفر به، هذا الجانب هو كون الشخص يحرز مقاماً معنوياً ويعرج في مراتب الولاية، ويدرك تلك النعمة لنفسه بالذات. ان هذا الزمان قد استولت فيه الانانية وطغت الاثرة واستهدفت المنافع الشخصية حتى انحصر شعور الانسان في انقاذ نفسه.. اقول القيام بخدمة الايمان - في هذا الزمان - تلك الخدمة التي تستند الى سر الاخلاص وتأبى ان تستغل لأي شيء كان، تقتضي عدم البحث عن مقامات معنوية شخصية، بل لابد الاّ تومىء حتى حركات المرء الى طلبها والرغبة فيها، بل يلزم عدم التفكير فيها أصلاً. وذلك لئلا يفسد سر الاخلاص الحقيقي.

نسيان الذات

• فيا اخوتي! تجاه هذا الوضع يلزم - بل في غاية الضرورة - اخذ الحذر الشديد، وعدم ابداء مشاعر الاستياء من المسجونين السابقين قدر الامكان، وعدم فسح المجال ليستاؤوا منكم والحيلولة دون حدوث التفرقة والثنائية، مع التحلي بضبط النفس والتجمل بالصبر.

ويلزم على اخواننا المحافظة على قوة التساند والاخوة وذلك بابداء التضحية وترك الانانية والتواضع قدر الامكان.

لحظات في خدمة القرآن لها اهمية الدهور

• اخواني الأوفياء الصادقين الاعزاء!

لما كنتم قد ارتبطتم بـ (رسائل النور)، نيلاً لثواب الآخرة، واداءً لنوع من العبادة، فلا شك ان كل ساعة من ساعاتكم - تحت هذه الشروط والأحوال الصعبة - تصبح في حكم عبادة عشرين ساعة، والعشرين ساعة من العمل في خدمة القرآن والايمان - لما فيها من جهاد معنوي - تكسب أهمية مئة ساعة، والمئة ساعة التي تمضي في لقاء مجاهدين حقيقيين من اخوة طيبين - كل منهم يعادل في الاهمية مئة شخص - وعقد أواصر الأخوة معهم، وامدادهم بالقوة

المعنوية والاستمداد منهم، وتسليتهم والتسلي بهم، والاستمرار معهم في خدمة الايمان السامية بترابط حقيقي، وثبات تام، والانتفاع بسجاياهم الكريمة، وكسب أهلية الطالب في مدرسة الزهراء بالدخول في مجلس الامتحان هذا، في هذه المدرسة اليوسفية، وأخذ كل طالب قسمته المقسومة له قدراً، وتناوله رزقه المقدّر له فيها، نيلاً للثواب.. تستوجب الشكر على مجيئكم الى هنا. والتجمل بالصبر وتحمل جميع المشقات والمضايقات مع التفكر في الفوائد المذكورة.

اياكم والمراء

• اخواني الأوفياء الصادقين.

اياكم والمراء، احذروا المناقشة. فالآذان المتجسسة تستفيد منها، اذ مهما يكن المناقش فهو على باطل في وضعنا الحالي، سواءً أكان محقاً أم لا! اذ ربما يلحق بنا ضرراً جسيماً في حين ليس له الاّ النزر اليسير من الحق.

اكرر لكم ما ذكرتها لاخواني الحساسين في سجن اسكي شهر.
كنت مع تسعين من ضباطنا - في الحرب العالمية السابقة - اسرى معتقلين في ردهة طويلة، في شمالي روسيا. وكنت لا أسمح

بالضوضاء والصخب باسداء النصح لهم، اذ كانوا يحترمونني بما يفوق قدري بكثير.

ولكن وعلى حين غرة أثار الغضب الناشيء من توتر الاعصاب والانقباض المستولي على النفوس مناقشات حادة. فقلت لبضع منهم. اذهبوا الى حيث الضجيج والصياح، وساندوا المبطل دون الحق. وقد قاموا بدورهم. فانقطع دابر المناقشات الضارة.

ثم سألوني: لِمَ قمت بهذا العمل الباطل؟.

قلت لهم: ان الحق يكون منصفاً يضحي بحقه الجزئي في سبيل راحة الآخرين ومصلحتهم التي هي كثيرة وكبيرة. اما المبطل فهو على الأغلب مغرور وأناني لا يضحي بشيء، فيزداد الصخب.

تسامحوا فيما بينكم

• اخواني الأوفياء الصادقين، ورفقائي المخلصين في خدمة القرآن والايمان.

لمناسبة دنو زمن فراق بعضنا بعضاً. ينبغي لكل منكم التجاوز عن تقصير أخيه والصفح عنه كلياً عما سببته الانفعالات من الضجر، و الذنوب التي حالت دون الحفاظ على دساتير الاخلاص.

فأنتم أقوى اخوة من أشقاء النسب، والأخ يستر تقصير أخيه، وينساه، ويصفح عنه.

فأنا هنا أحيل اختلافكم وانانيتكم غير المتوقعة الى النفس الأمارة، ولا أجده لائقاً بطلاب النور، بل اعدّه نوعاً من انانية موقتة، توجد في أولياء صالحين أيضاً ممن غلبتهم نفوسهم الأمارة. فلا تخيبوا يا اخواني حسن ظني بكم بالاصرار والعناد. تصالحوا.

لا تضيّعوا الوقت في النقاش

وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهمّ الحقائق وأجلّها، وأشدها ثبوتاً ورسوخاً؛ ولا يمكن تقييمها أو تقديرها بأي قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبيب، بل الدنيا باسرها في سبيل تحققها، فلابد اذا من ان نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وان نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء. اذ من المحتمل جداً ان يحرّك ضدنا مشايخ أو علماء متظاهرون بالتقوى، مخدوعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم.. وتجاه موقف كهذا، لابد لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل والنقاش الفارغ.

اتركوا السيئات مستورة

• لو كان البعض يضمر سوءاً، فينبغي الاّ يهاجَم، لان كثيراً من السيئات كلما بقيت مستورة تحت ستار الحسنة ولم يمزّق عنها حجابها وتغوفل عنها، انحصرت في نطاق ضيق وربما يسعى صاحبها لإصلاحها تحت حجاب الحياء، ولكن ما ان يمزّق الحجاب ويرفع حتى يرمى بالحياء فيُزال. واذا ما أُظهر معه الهجوم، تتوسع السيئة توسعاً هائلاً.

لِمَ نضطر الى اعلان العناية الربانية؟

• ان ثمانين بالمائة من الناس ليسوا محققين علماء، كي ينفذوا الى الحقيقة ويسبروا غورها ويصدقوا بها، ويقبلوها، بل يقبلون المسائل تقليداً لما سمعوه من أناس هم موضع ثقتهم واعتمادهم بناء على ظاهر حالهم وعلى حسن الظن بهم، حتى ان حقيقة قوية يرونها ضعيفة لأنها في يد شخص ضعيف بينما يعدّون مسألة تافهة في يد شخص مرموق مسألة قيمة. لذا اضطر الى الاعلان عن الحقائق الايمانية والقرآنية التي هي في يد شخصي الضعيف الذي لاقيمة له ولاأهمية، لئلا احطّ من قيمتها أمام أنظار أغلب الناس، فأقول: ان هناك مَن يستخدمنا ويسوقنا الى الخدمة دون اختيارٍ منا

ودون علمنا، ويسخّرنا في أمور جسام دون معرفتنا. ودليلنا هو اننا نحظى بقسم من عنايات إلهية وتيسيرات ربانية خارج شعورنا وبلا اختيار منا. ولهذا نضطر الى الاعلان عن تلك العنايات اعلاناً صارخاً على ملأ من الناس.

● على الرغم من انتشار الرسائل ـ بصورة عامة ـ انتشاراً واسعاً جداً، فان عدم قيام أحد بانتقادها ابتداءً من أعظم عالم الى أدنى رجل من العوام، ومن اكبر ولي صالح تقي الى أحط فيلسوف ملحد عنيد، هؤلاء الذين يمثلون طبقات الناس وطوائفهم. ورغم انها معروضة امامهم ويرونها ويقرأونها، وقد استفادت كل طائفة منها حسب درجتها، بينما تعرّض قسم منهم الى لطماتها وصفعاتها.. أقول: ان كل ذلك ليس إلاّ أثر عناية ربانية وكرامة قرآنية.. ثم ان تلك الأنماط من الرسائل التي لاتؤلف إلاّ بعد بحث دقيق وتحرٍ عميق، فان كتابتها واملاءها بسرعة فوق المعتاد اثناء انقباض وضيق ـ وهما يشوشان أفكاري وادراكي ـ اثر عناية ربانية وإكرام إلهي ليس إلاّ.

لقد تحقق لديّ يقيناً: ان اكثر أحداث حياتي، تجري خارجة عن طوق اقتداري وشعوري وتدبيري، اذ أُعطيتْ لها سير معين ووجهت وجهة غريبة لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن

الحكيم. بل كأن حياتي العلمية جميعها بمثابة مقدمات تمهيدية، لبيان اعجاز القرآن بـ « الكلمات » حتى انه في غضون هذه السنوات السبع من حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس ـ دون سبب أو مبرر و بما يخالف رغبتي ـ ومضي ايام حياتي في قرية نائية خلافاً لمشربي، وعزوفي عن كثير من الروابط الاجتماعية التي ألفتها سابقاً. كل ذلك ولّد لي قناعة تامة لا يداخلها شك من انه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده، خدمة صافية لا شائبة فيها.

بل انني على قناعة تامة من ان المضايقات التي يضايقونني بها في أغلب الاوقات والعنت الذي ارزح تحته ظلماً، انما هي لدفعي ـ بيد عناية خفية رحيمة ـ الى حصر النظر في اسرار القرآن دون سواها. وعدم تشتيت النظر وصرفه الى هنا وهناك.

وعلى الرغم من انني كنت مغرماً بالمطالعة، فقد وهبتْ لروحي مجانبة واعراضا عن أي كتاب آخر سوى القرآن الكريم.

فادركت ان الذي دفعني الى ترك المطالعة ـ التي كانت تسليتي الوحيدة في مثل هذه الغربة ـ ليس الاّ كون الآيات القرآنية وحدها استاذاً مطلقاً.

ثم ان الآثار المؤلفة والرسائل ـ باكثريتها المطلقة ـ قد أُنعمت عليّ لحاجة تولّدت في روحي فجأة، ونشأت آنياً. دون ان يكون هناك

سبب خارجي. وحينما كنت اظهرها لبعض أصدقائي، كانوا يقولون: «انها دواء لجراحات هذا الزمان». وبعد انتشارها عرفت من معظم اخواني انها تفي بحاجة هذا العصر وتضمد جراحاته.

فهذه الحالات المذكورة آنفاً - وهي خارجة عن نطاق ارادتي وشعوري وسير حياتي - ومجموع تتبعاتي في العلوم خلاف عادة العلماء وبما هو خارج عن اختياري، كل ذلك لم يترك لي شبهة قطعاً بانها عناية الهية قوية واكرام رباني واضح، للانجرار الى مثل هذه النتيجة السامية.

● ان خدمة الايمان التي تؤديها (رسائل النور) في هذا الوقت وتجابه ألوفاً من المخربين، يلزم ان تكون في صفها مئات الالوف من المعمرين.. ويستدعي ان يكون معي في الأقل مئات من المعاونين والكتاب.. وتقضي على الأمة والمسؤولين ان يمدّوا يد المساعدة بتقدير واعجاب ويحضوا على الخدمة ويثمنوا قيمتها ويوثقوا الصلة بها، لا التحرز والتجنب منها.. بل تستوجب على الأمة ان يفضّلوها على مشاغل الحياة الفانية وفوائدها.. ذلك لان خدمة الايمان متوجهة مباشرة الى الحياة الآخرة. لأضع نفسي مثالاً؛ فأقول:

ان منعي عن كل شيء، وحظر الاتصال معي، وقطع المساعدة اليّ، فضلاً عن تهوين معنويات زملائي، بنشر الدعايات المغرضة بكل ما اوتوا من قوة، واتباع الوسائل المؤدية للتثبيط عن (رسائل النور) ما استطاعوا اليها سبيلاً..

أقول: انه في مثل هذه الظروف وضمن هذه الشروط، فان وضع مهمة ترزح تحتها ألوف الاشخاص على كاهل شخص عاجز مثلي، وانا الضعيف المريض العجوز الغريب، المحروم من الأهل والأقارب. علاوة على تجنيب الناس مني وكأنني مصاب بمرض مُعدٍ، حتى اضطر الى الابتعاد عنهم والاختلاط معهم.. والقاء الرعب والشكوك والأوهام في قلوبهم حول خدمة الايمان للفتّ من قوتهم المعنوية.

فازاء جميع تلك الموانع المذكورة - وهي خارجة عن ارادتنا - لابد من حشد قوى معنوية حول (رسائل النور)، وذلك ببيان الاكرامات الالهية التي هي مبعث قوة معنوية تمد طلاب النور، ومن ثم بيان قوة الرسائل كأنها جيش عظيم لا يحتاج الى امداد أحد من الناس، بل هي التي تتحدى الاعداء.

نعم، فلأجل هذه الحكم المذكورة آنفاً كُتبت تلك (الإكرامات) وأمثالها.

- أن حبة واحدة من صدق تبيدُ بيدراً من الأكاذيب، وإن حقيقةً واحدة أفضل من بيدرٍ من الخيالات.

* * *

العمل الايجابي الخالص

ليكن همك ارضاء الخالق لا الخلق

• يا نفسي!

ان أرضيتِ خالقكِ بالتقوى والعملِ الصالح، كفاك ارضاء الخلق. فان رضوا منك بحسابه تعالى فنافع، وبحساب انفسهم فلا فائدة. اذ هم عاجزون مثلك. فان اردت الشق الأول فارض ربك، وان أردت الثاني اشركتَ بلا فائدة. الا ترين مَن ذهب الى مقر سلطان مطلق لمصلحةٍ، ان ارضاه تمت بلا كلفة، مع محبة الرعية له. وان طلبها ممن تحت حكمه يتعسر، بل يتعذر ارضاء الكل واتفاقهم على ايفاء مصلحته. ثم بعد الاتفاق يحتاج الى إذن السلطان، وإذنه يتوقف على ارضائه ان كان اكراماً..

العمل الايجابي البناء

• اما اهل الهداية والدين واصحاب العلم والطريقة فلانهم يستندون الى الحق والحقيقة، ولان كلاً منهم اثناء سيره في طريق

الحق لا يرجو الا رضى ربه الكريم ويطمئن اليه كل الاطمئنان، وينال عزة معنوية في مسلكه نفسه، اذ حالما يشعر بضعف ينيب الى ربه دون الناس،ويستمد منه وحده القوة، زد على ذلك يرى امامه اختلاف المشارب مع ما هو عليه، لذا تراه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفيه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة اليه.

وإذا ما كان ثمة غرور وانانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الاخلاص ويحبط عمله ويكون اثراً بعد عين.

والعلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة امور آتية:

١ — العمل الايجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين او التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً.

٢ — بل عليه ان يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الاسلام — مهما كان نوعها — والتي ستكون منابع محبة ووسائل اخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو ان صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: «ان مسلكي حق وهو افضل واجمل» من دون ان يتدخل في امر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له ان يقول: «الحق هو مسلكي فحسب» او «ان الحسن والجمال في مسلكي وحده» الذي يقضي على بطلان المسالك الاخرى وفسادها.

٤- العلم بان الاتفاق مع اهل الحق هو احد وسائل التوفيق الالهي وأحد منابع العزة الاسلامية.

٥ - الحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع اهل الحق للوقوف تجاه اهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على اهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الادراك بان اية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على امرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦ - ولاجل انقاذ الحق من صولة الباطل:

٧ - ترك غرور النفس وحظوظها.

٨ - وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.

٩ ـ وترك دواعي الحسد والمنافسة والاحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفر بالاخلاص ويوفي الانسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب.

قوة الاخلاص

* يا اخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن!

اعلموا ـ وانتم تعلمون ـ ان الاخلاص في الاعمال ولاسيما الاخروية منها هو:

أهم أساس، واعظم قوة، وأرجى شفيع، واثبت مرتكز، واقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، واكرم وسيلة للمقاصد، واسمى خصلة، واصفى عبودية.

اكتفوا بالشرف المعنوي

• تعلمون انني لا أقبل الصدقات والمعونات، كما لا أكون وسيلة لأمثالها من المساعدات. لذا أبيع ملابسي الخاصة وحاجياتي الضرورية، لأبتاع بثمنها ـ من اخوتي ـ كتبي التي استنسخوها.

لأحول دون دخول منافع دنيوية في اخلاص (رسائل النور) لئلا يصيبها ضرر. وليعتبر من ذلك الاخوة الاخرون، فلا يجعلوا الرسائل وسيلة لأي شيء كان. فالنور كافٍ لطلاب النور الحقيقيين. فليرضوا به ويطمئنوا اليه. ولا يتطلع منهم أحدٌ الى مراتب سامية أخرى، أو منافع معنوية ومادية.

ما تقتضيه الخلة

ان مسلكنا ومنهجنا هو «الاخوة» في الله، وان العلاقات التي تربطنا هي الاخوة الحقيقية، وليست علاقة الأب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المريد. وان كان لا بد فمجرد العلاقة بالاستاذ وما دام مسلكنا هو «الخليلية» فمشربنا اذاً «الخلة». والخلة تقتضي: صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحياً، وأخاً شهماً غيوراً.. وأس الأساس لهذه الخلة هو «الاخلاص التام». فمن يقصّر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلة العالي، ولربما يتردى في واد سحيق اذ لا موضع في المنتصف.

نعم! ان الطريق طريقان، فمن يفارقنا في مسلك الاخلاص التام - وهو الجادة الكبرى للقرآن الكريم - فربما يكون من الذين يخدمون الالحاد واعداء القرآن دون ان يشعر.

العبادة الفكرية لا تُطلب بها مقاصد دنيوية

• ان (رسائل النور) لا تكون وسيلة قطعاً لكسب مصالح دنيوية، ولا تستغل ترساً لدفع اضرارها، لكونها عبادة فكرية ذات شأن وأهمية. فلا تطلب بها مقاصد دنيوية بالذات، اذ لو طلبت يفسد الاخلاص ويتغيّر شكل تلك العبادة الجليلة. ويكون المرء كالصبيان الذين يتترسون بجزء المصحف الذي يتلونه لدى عراكهم بعضهم ببعض. فالضرر الذي يصيب رأسه سيمس ذلك المصحف حتماً، لذا ينبغي الأيتترس بـ (رسائل النور) تجاه هؤلاء الخصماء العنيدين.

نعم، لقد نزلت صفعات تأديب بالذين يتعرضون لـ (رسائل النور) ويعادونها، فهناك مئات الوقائع تثبت هذا، ولكن يجب الاّ تستعمل (رسائل النور) في انزال الصفعات بل لا تنزل بالنية والقصد لانه عمل مناف لسر الاخلاص والعبودية للّه.

فنحن نكل أمر مَن ظلمنا الى ربنا الجليل الذي حمانا واستخدمنا في خدمة (رسائل النور)..

نعم! ان نتائج خارقة تخص الدنيا تترتب بكثرة على (رسائل النور) ـ كما هي في الأوراد المهمة ـ ولكن لا تُطلب هذه النتائج،

وانما توهب. فلا تكون علّة للأمر قطعاً، وانما يمكن ان تكون لها فائدة. فلو حصلت نتيجة الطلب، كانت اذاً علةً، مما يفسد الاخلاص ويبطل قسماً من تلك العبادة.....

نعم! ان مقاومة (رسائل النور) مقاومة غالبة تجاه الكثرة الكاثرة من المنكرين المعاندين، انما هي مما تحمله من سر الاخلاص.. ومن عدم كونها وسيلة لأي غرض كان.. ومن توجه نظرها مباشرة الى السعادة الأبدية.. ومن عدم تتبعها أي قصد كان سوى خدمة الايمان.. ومن عدم التفاتها الى الكشف والكرامات الشخصية التي يوليها بعض أهل الطرق أهمية.. ومن كونها تحصر وظيفتها في نشر أنوار الايمان وانقاذ ايمان المؤمنين، مما كسبته من سر وراثة النبوة التي هي شأن الصحابة الكرام الحاملين للولاية الكبرى

ما يسوق الى الرياء وما يمنع منه

• ان حرص الانسان والطمع يسوقان الانسان ـ من زاوية الفقر والضعف الانساني ـ الى جلب توجه الناس وتلبّس أوضاع متكلفة للرياء والظهور.

ولما كان طلاب النور يحصلون على عزة الايمان باسترشادهم

بدروس (رسائل النور) كالاقتصاد والقناعة والتوكل على الله والرضى بقسمته، فانها باذن الله تمنعهم عن الرياء والعجب والتنازل لمنافع الدنيا.

* ان الحرص على الشهرة، وحب الجاه، وطلب نيل المقامات، والتفوق على الاقران وامثالها من الاحاسيس والمشاعر، وكذا التظاهر بمظهر حسن رفيع وتقمص طور اشخاص عظام لا يليق به، وجلب انظار الناس واعجابهم نحوه بما هو فوق حدّه وطاقته، وما شابهها من أنواع التصنع والتكلف في الاعمال.. كلها تسوق الى الرياء.. ولكن لما كان طلاب (رسائل النور) قد حوّلوا « انا » الى « نحن » أي تركوا الانانية ودخلوا ضمن دائرة الشخصية المعنوية للجماعة ويسعون في اعمالهم باسم تلك الشخصية، أي يقولون « نحن » بدلاً من « أنا ».. وكما قد نجا أهل الطرق من الرياء بوسائل قتل النفس الأمارة والأخذ بقاعدة: « الفناء في الشيخ » و« الفناء في الرسول ».. فان احدى تلك الوسائل هي « الفناء في الاخوان »، أي اذابة الشخصية الفردية في حوض الشخصية المعنوية لاخوانه وبناء أعماله على وفق ذلك، أقول: انه كما قد نجا أهل الحقيقة بتلك الوسائل من ورطة الرياء ينجو باذن الله طلاب النور بهذا السر أيضاً.

- انه لا تعد من الرياء والعجب قط تلك الأطوار والاوضاع الرفيعة التي يقتضيها مقام اداء الواجب الديني، وجعل الناس يتقبلونه قبولاً حسناً. اللّهم الاّ اذا كان الشخص يسخّر تلك الوظيفة الدينية طوع انانيته ويستغلها لأغراضه الشخصية.

فإمام الجامع، يجهر بالاذكار، كجزء من واجبه في اقامة الصلاة واداء الاذكار، ويُسمعها الآخرين، وهذا لا رياء فيه قط، ولكن اسماعها الناس خارج نطاق واجبه، ربما يداخله الرياء، فان اخفاءها اكثر ثواباً من الجهر بها.

لذا فان طلاب النور الحقيقيين، اثناء ادائهم لواجب نشر الوعي الديني، واثناء قيامهم بعباداتهم اتباعاً للسنة النبوية، واثناء التزامهم بالتقوى التي هي اجتناب الكبائر. انما يُعدّون مكلفين مأمورين في سبيل خدمة القرآن. فنسأل الله تعالى الاّ يداخل أعمالهم تلك، الرياءُ. الاّ من دخل ضمن دائرة (رسائل النور) لغرض آخر غير خدمة القرآن.

- (اعلم) ان الذكر من شأنه ان يكون من الشعائر، والشعائر ارفع من أن تنالها ايدي الرياء.

• اجعلوا رضى الله غاية مسعاكم

فيـا أهل الحق واصـحاب الحـقيـقـة، ويا من ابـتليـتم ببلوى الاخـتلاف! لقـد ضيـعتم الاخـلاص في هذا الظرف العصيب ولم تجعلوا رضى الله غـاية مسعـاكم، فمـهدتم السبل لاسقاط أهل الحق مغلوبين على أمرهم، وجرعتموهم مرارة الذل الهوان.

اعلموا انه ما ينبغي ان يكون حسد ولا منافسة ولا غيرة في أمور الدين والآخرة، فليس فيها في نظر الحقيقة أمثال هذه الأمور.

لا حسد في خدمة الحق

• فيا أهل الحـقيقة والطريقة: ان خدمة الحق ليس شيئاً هيناً، بل هو أشبـه ما يكون بحـمل كنز عظيم والقيام بالمحـافظة عليه، فـالذين يحملون ذلك الكنز على اكتافهـم يستبشرون بأيدي الأقوياء الممتدة اليـهم بالعون والمساعـدة ويفـرحون بهـا أكـثر. فـالواجب يحـتم ان يُستقبل اولئك المقبلون بمحبة خالصة، وان يُنظر الى قوتهم وتأثيرهم ومعـاونتهم أكـثر من ذواتهم وان يُتلَقـوا بالافتـخار اللائق بهسم، فهم اخوة حقـيقيون ومؤازرون مضـحّون. ولئن كان الواجب يحتم هذا، فلِمَ اذن يُنظر اليـهم نظر الحـسد ناهيك عن المنافسة والغيرة حـتى يفسد الاخلاص نتيجة هذه الحالة.

حسبنا رحمته علينا

• فيا اخوتي وزملائي في خدمة القرآن!

ان الذين يأتونكم من حيث حب الشهرة من جواسيس أهل الدنيا، والذين يروجون لأهل الضلالة، أو تلاميذ الشيطان، قولوا لهم:

ان رضى الله سبحانه، والاكرام الرحماني، والقبول الرباني، لمقام عظيم جداً، بحيث يبقى دونه اقبال الناس واعجابهم بحكم ذرة بالنسبة الى ذلك المقام الرفيع.

فان كان هناك توجه من الرحمة الالهية نحونا، فهذا حسبنا وكفاه توجهاً. اما اقبال الناس وتوجههم فانما يكون مقبولاً ان كان ظلاً من انعكاس توجه رحمته تعالى، والاّ فلا يُطلب ولا يُرغب فيه قطعاً، لانه ينطفئ عند باب القبر، ولا يساوي هناك شروى نقير.

طوبى لمن عَرف حدّه ولم يتجاوز طوره

• ان هناك تجليات للشمس على كل شيء.. ابتداءً من أصغر ذرة وبلورة زجاج، وقطرة ماء، ومن الحوض الكبير، والبحر العظيم.. وانتهاءً بالقمر والكواكب السيارة.. كل منها يعرف حدّه

ويطبع على نفسه انعكاسَ الشمس وصورتها حسب قابليته. فتستطيع قطرة ماءٍ ان تقول: عندي انعكاسٌ للشمس. وذلك حسب قابليتها، ولكن لا تجرؤ على القول: انا مرآة للشمس كالبحر.

وكذلك الأمر في مقامات الاولياء، ففيها مراتب عدة، حسب تنوّع تجليات الاسماء الالهية الحسنى، فكلٌّ اسم من الاسماء الحسنى له تجلياتٌ - كالشمس في المثال - ابتداءً من القلب وانتهاءً بالعرش. فالقلب عرشٌ، ولكن لا يستطيع ان يقول: «أنا كالعرش الأعظم». ومن هنا كان السالك في سبيل الفخر والغرور يلتبس عليه الأمر فيجعل قَلبَه الصغير جداً كالذرة مساوياً للعرش الاعظم، ويعتبر مقامه الذي هو كالقطرة كفواً مع مقام الأولياء العظام الذي هو كالبحر. فبدلاً من ان يصرف همَّه لمعرفة أساس العبادة الذي هو العجز والفقر وادراك تقصيره ونقصه أمام بارئه القدير والتضرع أمام عتبة ألوهيته سبحانه والسجود عندها بكل ذل وخضوع، تراه يبدر منه التصنّع والتكلّف لأجل ان يلائم نفسه ويحافظ عليها مع مستوى تلك المقامات السامية، فيقع فيما لا طائل وراءه من الغرور والانانية والمشاكل العويصة.

لا خلاص إلاّ بالاخلاص

• ان محور النجاة ومدارها الاخلاص، فالفوز به اذن أمر في غاية الأهمية، لأن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة..

فالذي يجعل الانسان يحرز الاخلاص هو تفكره في أن الدافع الى العمل هو الأمر الالهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ومن ثم عدم تدخله في الشؤون الالهية.

ان هناك اخلاصاً في كل شيء. حتى ان ذرةً من حُبٍ خالص تفضل على أطنانٍ من الحب الصوري الشكلي. وقد عبّر أحدهم شعراً عن هذا النوع من الحب.

وما أنا بالباغي على الحُب رُشوةً

ضعيفٌ هوىً يُبغى عليه ثوابُ

أي لا أطلب على الحب رشوة ولا أجرة ولا عوضاً ولا مكافأة، لأن الحب الذي يطلب ثواباً ومكافأة حبٌ ضعيف لا يدوم. فهذا الحب الخالص قد اودعه الله سبحانه في فطرة الانسان ولاسيما الوالدات عامة. فشفقة الوالدة مثال بارز لهذا الحب الخالص.

قمة الفداء والتضحية

• أجل!.. . ان طلاب النور يعرفون هذا كما انني سردت الحجج التي اظهرت في المحاكم انني لم أسعَ من اجل مقام او مرتبة لشخصي او من أجل الحصول على مرتبة او مقام او شهرة معنوية او اخروية، بل سعيت بكل ما أملك من وقوة لتوفير خدمة ايمانية لاهل الايمان، وربما كنت مستعداً لا للتضحية بالمراتب الدنيوية الفانية وحدها بل ـ ان لزم الأمر ـ بالتضحية حتى بالمراتب الاخروية الباقية لحياتي في الآخرة، مع ان الجميع يسعون للحصول على هذه المراتب، ويعلم اصدقائي المقربون بانني ـ ان لزم الأمر ـ اقبل ترك الجنة والدخول الى جهنم من اجل ان اكون وسيلة لإنقاذ بعض المساكين من أهل الايمان. وقد ذكرت هذا وبرهنت عليه في المحاكم من بعض الوجوه، ولكنهم يرومون بهذا الاتهام اسناد عدم الاخلاص لخدمتي الايمانية والنورية، ويرومون كذلك التقليل من قيمة رسائل النور وحرمان الامة من حقائقها.

الجنة ليست رخيصة

• انهم يتشبثون بحجج واهية تافهة ـ مستندين الى جانب

ضعيف لدى الانسان ـ لالقاء الرعب في قلوب طلاب النور، وصرف أنظارهم واهتماماتهم الى جانب آخر..

ولكن صلابة طلاب النور وثباتهم ثبات الابطال وتحملهم المشقات وروح التضحية الخارقة التي يحملها شخصهم المعنوي ستقضي باذن الله على خططهم هذه وتجعلها عقيمة بائرة.

نعم! ان الجنة ليست رخيصة، كما ان النار ليست زائدة عن الحاجة.

ولقد كرّرنا عليكم وبيّنا سابقاً؛ ان نيل أعظم ثواب مع أقل المشقات، ضمن ظروف وأحوال صعبة، وشدة حاجة هذا الزمان، انما يكون ـ باذن الله ـ من نصيب طلاب النور المخلصين. كما هو لدى المجاهدين العظام السالفين.

فطلاب النور هم الذين يكسبون عمراً أبدياً ببذلهم سنين من عمرهم في خدمة ايمانية قرآنية مقدسة، ذلك العمر الذي يمضي هباء منثوراً دون نفع، وربما تكتنفه الآثام والسيئات.

ولقد عزمت على تحمل الأذى الذي يصيبني من هذه الهجمات جميعها مع شدة ضعفي، فأملي باخواني الشباب الأبطال الأقوياء الفدائيين الاّ يتخلفوا عني باذن الله ولا يفرّوا من الميدان، بل يحاولوا اعادة من فرّ الى الصف كما كانوا يسعون في ذلك سابقاً.

لا نجعل من الدين وسيلة لمكاسب دنيوية

* اخوتي الصديقين الاعزاء!

(جواب اضطررت الى كتابته عن سؤال
- مادي ومعنوي - ورد من عدة جهات)

سؤال: لِمَ لا تكوّن علاقة ولا تمد وشائج ارتباط مع التيارات الجارية داخل البلاد وخارجها، وبخاصة مع الجماعات ذات الاهتمامات السياسية، بل ترفض ذلك وتمنع - ما وسعك - طلاب النور عن أي تماسٍ كان بتلك التيارات! والحال انك لو كونت علاقة معهم فان الوف الناس سيدخلون دائرة (رسائل النور) زرافات ووحداناً وسيسعون لنشر حقائقها الساطعة، فضلاً عن انك لا تكون هدفاً الى هذا الحد للمضايقات الشديدة التي لا مبرر لها؟

الجواب: ان أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجارية، هو الاخلاص؛ الذي هو أساس مسلكنا، فالاخلاص هو الذي يمنعنا عن ذلك، لأن في زمن الغفلة هذا، ولاسيما من يحمل افكاراً موالية الى جهة معينة، يحاول ان يجعل كل شيء اداة طيعة لفكره، بل يجعل حتى دينه واعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنيوي. بينما الحقائق الايمانية والخدمة النورية المقدسة تأبى ان

تكون وسيلة لأي شيء كان في الكون، ولا يمكن ان تكون لها غاية الا رضى الله سبحانه.

وفي الحقيقة، انه من الصعوبة بمكان، الحفاظ على سر الاخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية، لذا فان أفضل علاج لهذا هو الاستناد الى العناية الالهية وتفويض الأمر الى توفيق رب العالمين بدلاً من الاستناد الى قوة التيارات الحالية.

وهناك سبب آخر ـ من جملة الاسباب الداعية للاجتناب هذا ـ هو «الشفقة» ـ التي هي أساس من الأسس الاربعة لرسائل النور ـ وعدم التلوث بظلم واضرار الآخرين.

اذ الانسان ـ لكونه ظلوماً جهولاً ـ يرد معاملة المقابل له في هذا العصر بلا رحمة وبظلم شنيع مخالفاً بذلك الآية الكريمة: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ التي هي دستور الارادة الالهية. حيث تتغلب عليه العاطفة والانحياز الى جهة، وعندها لا يقصر عداءه على المجرم وحده ولا يأخذ بجريرته جميع اقاربه وحدهم، بل أيضاً يعاقب كل مَن له صلة بالمجرم من قريب أو بعيد، حتى انه اذا ما كان له سلطة أو حكم، يبيد قرية كاملة بالقنابل بجريرة مجرم واحد. بينما الانصاف

يقتضي الاّ يُضحّى بحق بريء واحد بسبب مئة مجرم وان لا يُظلم ذلك البريء بسببهم. ولكن الوضع الحالي يخالف الآية الكريمة فيقحم مئة من الأبرياء في بلايا وأضرار بسبب بضع مجرمين، فمثلاً:

ان اهلاك الوالدين العجوزين، وتشريد الأطفال الصغار ودفعهم جميعاً الى هاوية الفقر والذل ومعاداتهم بالانحياز الى جهة ما لخطأ ارتكبه من يتعلق بهم بصلة.. ان هذا الأمر مناف كلياً لأساس الشفقة على الخلق.

فبالانحياز الى التيارات الجارية لا ينجو الابرياء - بين المسلمين - بل يشيع الظلم اشاعة كلية ولا سيما بالاسباب الداعية الى قيام الاضطرابات والثورات.

ولو كان الجهاد قائماً وهو جهاد اسلامي، فان حال أطفال الكفار تبقى على وضعها، وربما يكونون من الغنائم: ويتمكن المسلمون ان يجعلوهم تحت امرتهم وملك يمينهم. ولكن لو كفر احدهم داخل ديار المسلمين، فلا يمتلك أطفاله قطعاً. ولا يجوز التجاوز على حقوقهم بأي شكل من الاشكال. لأن اولئك الأبرياء انما يرتبطون بالاسلام وبجماعة المسلمين، برابطة الاسلام، التي انقطعت عن والدهم. أما أولاد الكفار فرغم انهم من أهل النجاة، فانهم يتبعون والدهم في الحقوق والحياة. لذا ربما يكونون اسراء أو مماليك عبيد في أثناء الجهاد الاسلامي.

كيف يُعرف الاخلاص؟

• ان رضى الله لا ينال الا بالاخلاص، فرضاه سبحانه ليس بكثرة التابعين ولا باطراد النجاح والتوفيق في الاعمال، ذلك لان تكثير التابعين والتوفيق في الاعمال هو مما يتولاه الله سبحانه بفضله وكرمه، فلا يُسأل ولا يطلب بل يؤتيه الله سبحانه من يشاء.

نعم، رُبَّ كلمة واحدة تكون سبباً للنجاة من النار وتصبح موضع رضى الله سبحانه، ورُبَّ ارشاد شخص واحد يكون موضع رضى الله سبحانه بقدر ارشاد الف من الناس. فلا ينبغي أن تؤخذ الكمية كثيراً بنظر الاعتبار.

ثم ان الاخلاص في العمل ونشدان الحق فيه انما يُعرف بصدق الرغبة في افادة المسلمين عامة اياً كان مصدر الاستفادة ومن اي شخص صدر. وإلا فحصر النظر بان يؤخذ الدرس والارشاد مني فقط لأفوز بالثواب الاخروي هو حيلة النفس وخديعة الانانية.

فيامن يحرص على المزيد من الثواب ولا يقنع بما قام به من أعمال للآخرة! اعلم ان الله سبحانه قد بعث انبياء كراماً، وما آمن معهم إلا قليل. ومع ذلك نالوا ثواب النبوة العظيم كاملاً غير منقوص. فليس السبق والفضل اذن في كثرة التابعين المؤمنين، وانما في نيل شرف رضى الله سبحانه. فمن انت ايها الحريص حتى ترغب ان يسمعك

الناس كلهم، وتتغافل عن واجبك وتحاول ان تتدخل في تدبير الله وتقديره؟ اعلم واجبك، ولا تحاول ان تتدخل في تدبير الله وتقديره؟ اعلم ان تصديق الناس كلامك وقبولهم دعوتك وتجمعهم حولك انما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء، فلا تشغل نفسك فيما يخصه سبحانه من تقدير وتدبير، بل اجمع همك في القيام بما انيط بك من واجب.

الى الجيل المقبل

• أيا مَن اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع الى كلماتِ النور بصمت وسكون. وتلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تتسمّون بـ« سعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر، ويوسف واحمد وامثالهم».. انني أتوجه بالخطاب اليكم: ارفعوا هاماتكم وقولوا: «لقد صدقت» وليكن هذا التصديق دَيناً في أعناقكم. ان معاصري هؤلاء وان كانوا لا يعيرون سمعاً لأقوالي، لندَعهم وشأنهم. انني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي ـ المسمى بالتاريخ ـ الى ذرى مستقبلكم الرفيع. ما حيلتي لقد استعجلتُ وشاءت الاقدارُ ان آتي الى خضم الحياة في شتائها.. أما أنتم فطوبى لكم ستأتون اليها في ربيع زاهر كالجنة. ان

مـا يُزرع الآن ويُستنبت من بذور النور ستتـفتح أزاهير يافعـة في أرضكم.. نحن ننتظر منكم لقـاء خدماتنا. انكم اذا جئتم لتعبروا الى سفـوح الماضي، عوجوا الى قـبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع. على قـمـة القـلـعـة (قلعـة وان) التي هي بمثابة شاهد قـبر مدرستي «خورخور» والمستـضيفة لرفـاتنا وعظامنا والحارسة لترابها سنوصي الحـارس ونذكـرّه.. نادونا.. ستـسـمعـون صـدى «هنيئـاً» ينطلق من قبورنا.

ان مـعـاصـريّ هؤلاء الذين يرتضـعـون مـعـنا ثدي هذا الزمـان، عيـونهم في قفـاهـم تنظر الى الماضي دومـاً وتصوراتُهم شبيهـة بهـم، معزولة وبلا حقيقة.. هؤلاء الصبيان وان كانوا ينظرون الـى حقائق هذا الكتاب ويتـوهمونها خيالاً.. فلا أبالي، لأنني على ثقة من ان معاني هذا الكتاب ستتحقق فيكم حقائق واضحة.

أيا من أخاطبكم، ألا معذرة، اني اصرخ عالياً، وانا معتلٍ منارة العصر الثالث عشر الهجري، أُدعو اولئك المدنيين المتحضرين صورةً وشكلاً والمتـهـاونين في الدين حـقـيـقـةً، والذين يجـولون في أودية الماضي السـحيق فكراً. أُدعـوهم الى الجامع.. فـيـا ايتـهـا القـبـور المتـحـركـة برجلين اثنتين، والجنائز الشـاخـصـة! ويا أيـهـا التـعـسـاء التاركـون لروح الحياتين كلتـيهـمـا.. وهو الاسلام، انصرفوا من أمام

باب الجيل المقبل، لا تقفوا عنده حجر عثرة، فالقبور تنتظركم.. تنحّوا عن الطريق ليأتي الجيل الجديد الذي سيرفع أعلام الحقائق الاسلامية عالياً ويهزها خفاقة تتماوج على وجوه الكائنات.

الصدق رأس الايمان

- فان قلتم: ان الكذب للمصلحة عفو؟

قيل لكم: اذا كانت المصلحة ضرورية قطعية، مع انه عذر باطل؛ اذ تقرر في اصول الشريعة: ان الأمر الغير المضبوط (أي الذي لا يتحصل) ـ بسبب كونه قابلاً لسوء الاستعمال ـ لا يصير علة ومداراً للحكم، كما ان المشقة لعدم انضباطها ما صارت علة للقصر، بل العلةُ السفر. ولئن سلّمنا فغلبة الضرر على منفعة شيء تفتي بنَسخه وتكون المصلحةُ في عدمه. وما ترى من الهَرْج والمَرج في حَال العالم شاهد على غلبة ضرر عذر المصلحة. الاّ ان التعريض والكناية ليسا من الكذب. فالسبيل مَثنى: إما السكوت؛ اذ «لا يلزم من لزوم صدق كل قول قولُ كل صدق». واما الصدق؛ اذ الصدق هو أساس الاسلامية، وهو خاصة الايمان، بل الايمان صدق ورأسه. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للاخلاق العالية..

وهو العرق الرابط للاشياء بالحقيقة.. وهو تجلي الحق في اللسان.. وهو محور ترقي الانسان.. وهو نظام العالم الاسلامي.. وهو الذي يُسرع بنوع البشر في طريق الترقي - كالبرق - الى كعبة الكمالات.. وهو الذي يصيّر اخمد الناس وافقره اعزّ من السلاطين.. وبه تفوّق أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس.. وبه ارتفع «سيدنا محمد الهاشميّ» عليه الصلاة والسلام الى أعلى عليي مراتب البشر.

فهم رسائل النور

• فـ (رسائل النور) التي هي ضياء معنوي، وعلم في منتهى العلو والعمق معاً، لا تحتاج دراستها والتهيؤ لها الى تكلف، ولا داعي الى اساتذة آخرين لتعلمها، ولا الاقتباس من أفواه المدرسين، حيث ان كل شخص يفهم حسب درجته تلك العلوم العالية، دونما حاجة الى اشعال نار المشقة والتعب للحصول عليها، فيفيد نفسه بنفسه، وربما يكون عالماً محققاً.

خذ ما صفا دع ما كدر

• اذا ما دخلتُ بستاناً فلا أجني الاّ الأجود من الثمرات، حتى اذا ما تعبت في قطفها أجد المتعة واللذة. ولو وقع نظري على الفاسدة منها، اصرفه عنها، آخذاً بالقاعدة :« خذ ما صفا دع ما كدر». . هكذا أنا، فأرجو ان يكون قرائي أيضاً مثلي.

• على الرغم من أهمية هذه الرسالة (الآية الكبرى) وعظيم شأنها، لا يفهم كل شخص، كل مسألة من مسائلها. ولكن لا يبقى دون حظ منها، فالذي يدخل بستاناً عظيماً، ولا تصل يده الى جميع ثماره؛ فحسبه ما ناله منها، اذ البستان لم يخصص له وحده، بل لذوي الأيدي الطويلة حصتهم وحظهم كذلك.

لا تُقرأ الرسائل كسائر العلوم

• عندما كنت أصحح ما استنسخه الصبيان والشيوخ، وانا أعاني من ضيق الوقت، ورد لخاطري خاطر، وقيل لي معنىً:

لا داعي للضجر والضيق، فان قراءة ما استنسخه هؤلاء تلجيء المسرعين في القراءة الى التأني والتروي بحيث يتمكن كلٌّ من العقل والقلب والروح والنفس والمشاعر ان يتناول حقائق (رسائل النور) التي هي في حكم الغذاء والطعام، والاّ فان القراءة العاجلة تجعل العقل آخذاً حظه وحده، وربما تظل البقية دون غذاء.

لذا، ينبغي عدم قراءة (رسائل النور) كسائر العلوم والكتب، لأن ما فيها من علوم الايمان التحقيقي لا يشبه العلوم والمعارف الأخرى. فهي نور وقوة ممدة لكثير من اللطائف الانسانية، فضلاً عن العقل.

تكرار القراءة في الرسائل

• اخوتي الأوفياء الصادقين الاعزاء.. يا عماد سلواني في هذه الدنيا!

ويا رفقائي الذين لا يكلّون في خدمة الحقيقة!

بينما كنت أتأسف في هذه الأيام على اشتغال ذهني جزئياً بالدفاعات أمام المحاكم؛ ورد للقلب ما يأتي:

« ان ذلك الانشغال هو كذلك اشتغال علمي، اذ هو خدمة في سبيل نشر الحقائق الايمانية وتحقيق حريتها وانكشافها؛ فهو نوع من العبادة من هذه الجهة ».

وانا بدوري كلما وجدت ضيقاً في نفسي باشرت بمطالعة مسائل النور بمتعة ولذة، رغم اني شاهدتها مئة مرة. حتى وجدت « الدفاعات » هي كذلك مثل (رسائل النور) العلمية.

ولقد قال لي أحد اخواني: « انني أشعر بشوق وحاجة الى تكرار قراءة (رسالة الحشر) وان كنت قد قرأتها ثلاثين مرة ».

فعرفت من كلامه هذا: ان (رسائل النور) التي هي مرآة عاكسة لحقائق القرآن الكريم وتفسير قيم أصيل له، قد انعكست فيها أيضاً مزية رفيعة للقرآن الكريم الا وهي عدم السأم من قراءتها.

رسائل النور تقنع نفس مؤلفها اولاً

• ان (رسائل النور) تحاول أولاً اقناع المؤلف نفسه ثم تخاطب الآخرين، لذا فالدرس الذي أقنع نفس المؤلف الامارة بالسوء اقناعاً كافياً وتمكن من ازالة وساوسها ازالة تامة، لهو درس قوي بلا شك وهو خالص أيضاً بحيث يتمكن ـ وحده ـ ان يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت « شخصية معنوية » بتشكيلاتها الجماعية المنظمة، بل ان يجابهها ويتغلب عليها.

اتحاد العقل والقلب هو لبّ الرسائل

• ان الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وادلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن في الأولياء الصوفية بمجرد أذواق القلب وكشوفاته، انما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً، وامتزاجهما وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلق الى أوج العلا وتصل الى مراق لا يصل اليها نظر الفلسفة المهاجمة، فضلاً عن اقدامها وخطواتها، فتوصل أنوار الحقائق الايمانية الى عيونها المطموسة.

* * *

قواعد وموازين

لا تعلقوا الدرر في اعناق البقر

● سؤال: ما دمت تعتمد على قوة القرآن الكريم وتستند الى همته وتستلهم الفيوضات منه لارشاد اعتى الملحدين وأشدهم تمرداً في سبيل اصلاحهم، وانك فعلاً تقوم بهذا وما تزال كذلك، فلماذا لا تدعو القريبين منك من المتجاوزين المتعدين، وترشدهم الى سواء السبيل؟.

الجواب: انه من القواعد المهمة في أصول الشريعة: (الراضي بالضرر لا ينظر له) أي: «ان من كان راضياً بالفساد برغبته وعلمه، لا ينظر له نظرة اشفاق وترحم». فانا ادعو مستنداً الى القرآن الكريم، وعلى استعداد لإلزام الملحد المتمادي في الالحاد في غضون بضع ساعات وإن لم أقنعه تماماً، على شرط الاّ يكون سافلاً منحطاً، وممن يتلذذون في نشر سموم الضلالة، كتلذذ الحية في نشر سمها، الاّ ان مخاطبة الحيات المتمثلة في صورة انسان، والكلام مع وجدان تردى في أسفل سافلي الضلالة الموغلة في النفاق ـ حتى انه يبيع دينه ـ

وعلى علمٍ منه ـ بدنياه، ويستبدل قطعاً زجاجية تافهة قذرة ـ على علم ـ بالالماس الثمين.

أقول: ان مخاطبة هؤلاء واظهارهم على الحقائق اجحافٌ بحق الحقيقة وحط من شأنها لأنها شبيهة بـ «تعليق الدرر في اعناق البقر» كما جاء في المثل.

لأن الذين يقومون بمثل هذه الأعمال قد سمعوا تلك الحقائق من (رسائل النور) مرات ومرات. الاّ انهم يرومون الحط من قيمة الحقائق مع معرفتهم بها، ارضاءً للضلالة والزندقة. فهؤلاء كالحيات التي تتلذذ من السم.

ميزان دقيق في محاورة

(محاورة خطرت على القلب، كتبتهـا لتقويم الافراط لدى قسم من اخوتي طلاب النور، لتعديل حسن ظنهم بي بمايفوق حدي بكثير)

• قبل حوالي خمسين سنة جرت بيني وبين اخي الكبير (الملا عبد الله) رحمه الله هذه المحاورة، سأوردها لكم:

كان اخي المرحوم من خواص مريدي الشيخ ضياءالدين (قدس

سره) وهو من الاولياء الصالحين. واهل الطرق الصوفية لا يرون بأساً في الافراط في حب مرشدهم والمبالغة في حسن الظن بهم، بل يرضون بهذا الافراط والمبالغة، لذا قال لي اخي ذات يوم:

— ان الشيخ ضياء الدين على علم واسع جداً واطلاع على ما يجري في الكون، بمثل اطلاع القطب الاعظم!... ثم سرد من خوارق اعماله وعلو مقامه الكثير من الامثلة... كل ذلك ليغريني بالانتساب اليه والارتباط به. ولكني قلت له:

— يا اخي الكريم، انت تغالي! فلو قابلت الشيخ ضياء الدين نفسه لالزمته الحجة في كثير من المسائل، وانك لا تحبه حباً حقيقياً مثلي! لانك يأخي الكريم تحب ضياء الدين الذي تتخيله في ذهنك على صورة قطب اعظم له علم بما في الكون! فأنت مرتبط معه بهذا العنوان وتحبه لاجل هذه الصفة. فلو رفع الحجاب وبانت حقيقته، لزالت محبتك له او قلت كثيراً!

اما انا — يا اخي — احب ذلك الشخص الصالح والولي المبارك حباً شديداً بمثل حبك له، بل أوقره توقيراً يليق به وأجله واحترمه كثيراً، لانه:

مرشد عظيم لاهل الايمان في طريق الحقيقة المستهدية بالسنة

النبوية الشريفة فليكن مقامه الحقيقي ما يكون. فأنا مستعد لأن أضحي بروحي لأجل خدمته الايمان. فلو اميط اللثام عن مقامه الحقيقي فلا اتراجع ولا اتخلى عنه ولا أقلل من محبتي له، بل أوثق الارتباط به اكثر، وأوليه محبة أعظم وابالغ في توقيره.

فانا اذن يا اخي الكريم احب ضياء الدين كما هو وعلى حقيقته. اما انت فتحب ضياء الدين الذي في خيالك.

ولما كان اخي المرحوم عالماً منصفا حقاً، فقد رضي بوجهة نظري وقبلها وقدرها.

فيا اخوتي، أيها السعداء المحظوظون الذين يضحون بانفسهم في سبيل الله! ان مبالغتكم في حسن الظن بشخصي الذاتي، وان كان لا يضركم بالذات، الا ان امثالكم ممن ينشدون الحق ويرون الحقيقة، ينبغي لهم ان ينظروا الى الشخص من زاوية خدمته للقرآن الكريم ومدى انجازه لمهامه نحوه، فلو كشف النقاب وظهرت امامكم هويتي الملطخة بالتقصيرات من قمة رأسي الى اخمص قدمي لأشفقتم عليّ ولتألمتم لحالي ولكن لا انفركم من محبة الاخوة التي تربطنا، ولئلا تندموا عليها فلا تربطوا انفسكم بماتتصورونه من مقامات تضفونها علي وهي فوق حدي بكثير. فأنا لست سوى أخ لكم لا غير، وليس في طوقي ادعاء الارشاد والتوجيه ولا الاستاذية

عليكم... وكل ما في الامر هو اني زميلكم في تلقي درس الايمان. فلا تنتظروا مني همة ومدداً بل انا المحتاج الى معاونتكم وهممكم وأرجو دعواتكم المشفقة على تقصيراتي.

ولقد أنعم الله علينا جميعاً - بفضله وكرمه - واستخدمنا في أقدس خدمة واجلّها وأنفعها لاهل الايمان.. تلك هي خدمة القرآن. وندبنا بالقيام بها على وفق تقسيم الاعمال فيما بيننا، فحسبنا ارشاد الشخص المعنوي واستاذيته النابعة من سر اخوتكم واتحادكم.

فما دامت خدمة الايمان والقرآن أسمى من أية خدمة في هذا العصر، وأن النوعية تفضل الكمية، وان التيارات السياسية المتحولة المتغيرة واحداثها المؤقتة الزائلة لا اهمية لها تجاه خدمات الايمان الثابتة الدائمة، بل لا ترقى لمقايستها ولا يمكن ان تكون محوراً لها، فينبغي الاطمئنان بما منحنا ربنا سبحانه وتعالى من مرتبة نورانية مفاضة علينا من نور القرآن المبين.

فيا اخوتي الاحبة: الثبات الثبات، الوفاء الوفاء.. ان طريقنا في السمو والرقي هو الغلو في الارتباط والتساند فيما بيننا والسعي لنيل الاخلاص والاخوة الحقة، بدلاً من الغلو في حسن الظن والتطلع الى مقامات أعلى من حدنا.

حتى لو رفع الحجاب

● اخواني الاعزاء الصديقين! تذكرت اليوم ما جرى من الحوار المعروف لديكم حول الشيخ ضياء الدين، بيني وبين أخي الكبير (الملا عبد الله). ثم فكرت فيكم. وقلت في قلبي:

ان الذي يظهر ثباتاً الى هذه الدرجة، في هذا الزمان الذي قلما يثبت فيه أحد، هؤلاء الاتقياء المخلصون والمسلمون الجادون الذين لا يتزعزعون في دوامة هذه الاحوال المحرقة المؤلمة، أقول: لو رفع الحجاب ــ حجاب الغيب ـ وبدا لي كل منهم في درجة الأولياء الصالحين بل حتى لو ظهر في مرتبة القطبية فلا يزيد شيء في نظري عنهم ولا اغير ما اوليهم من اهتمام وعلاقة مما اوليه في الوقت الحاضر الا قليلاً، وكذلك لو بدوا لي اشخاصاً اعتياديين من العوام، فلا أنقص ابداً مما امنحهم في الوقت الحاضر من قيمة كريمة ومنزلة رفيعة.

هكذا قررت، ذلك لأن خدمة انقاذ الايمان في مثل هذه الأحوال الصعبة والشروط القاسية هي فوق كل شيء.

فالمقامات الشخصية والمزايا التي يضفيها حسن الظن على الاشخاص تتزلزل وتتصدع في مثل هذه الاحوال المضطربة المزعزعة

فيقل حسن الظن وبدوره المحبة زد على ذلك ان صاحب الفضيلة والمزية يشعر بضرورة التصنع واالتكلف والوقار المصطنع كي يحافظ على مكانته في نظرهم.

فشكراً للّه بما لا يتناهي من الشكر، اننا لا نحتاج الى مثل هذه التكلفات المصطنعة الباردة.

الدين امتحان

● ان الدين امتحان، وان التكاليف الالهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والارواح السافلة، ويتميز بعضها من بعض في حلبة السباق.

نعم، انه مثلما يختبر المعدن بالنار ليتميز الالماس من الفحم، والذهب من التراب؛ كذلك فان التكاليف الالهية في دار الامتحان هذه ابتلاء وتجربة وسوق للمسابقة حتى تتميز الجواهر النفيسة لمعدن الفطرة من المعادن الخسيسة. فما دام القرآن قد نزل ـ في دار الابتلاء هذه ـ بصورة اختبار للانسان وليتم تكامله في ميدان المسابقة، فلابد انه سيشير ـ اشارة فحسب ـ الى هذه الأمور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع، فاتحاً للعقل باباً بمقدار اقامة

حجته. والاّ فلو ذكرها القران الكريم صراحة، كان مما يخلّ بحكمة التكليف فتصبح بديهية مثل كتابة (لا اله الا الله) واضحة بالنجوم على وجه السماء، والذي يجعل الناس - أرادوا أم لم يريدوا - عندئذ مرغمين على التصديق. ومن ثم فما كانت مسابقة ولا اختباراً ولا تمييزاً، فحينئذٍ تتساوى الارواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كالالماس.

ميزان القناعة والحرص

• اخواني الأوفياء الصادقين

سؤال: انك لا تريد ان ترتبط بعلاقة خارج دائرة النور، مع الذين يحسنون الظن كثيراً بشخصك بالذات ويمنحونك مقاما عظيماً، رغم انهم وثيقو الصلة بـ (رسائل النور) وتتبادل معهم المحبة. بل تفضل المجالسة والمحاورة مع من لا يفرط في حسن الظن بشخصك، فتنبسط لهم وتنشرح وتبدي لهم من المحبة والاكرام أكثر مما تبديه لأولئك. فما السبب؟!.

الجواب:

لقد ذكرنا في المكتوب الثاني من الكلمة الثالثة والثلاثين: ان الناس في زماننا هذا يبيعون احسانهم الى المحتاجين بثمن غالٍ،

فمثلاً؛ يقدّم لي رغيفاً من الخبز مقابل دعاء مستجاب، ظناً منهم أني رجل صالح. فإحساناً كهذا وبهذا الثمن الباهظ لا أريده. وقد بينت هذا سبباً من أسباب ردّ الهدايا. فالناس مما سوى طلاب النور الحقيقيين يظنونني ذا مقام عظيم، فيبدون علاقة قوية نحوي، واستعداداً للخدمة، ولكن يطلبون عوضها نتائج نورانية في الدنيا - كما هو لدى الأولياء - فيحسنون اليَّ احساناً معنوياً بخدماتهم وعلاقاتهم!

ولما كنت عاجزاً عن ان أكون مالكاً لما يطلبونه من ثمن تجاه هذا النوع من الاحسانات المعنوية من أمثال هؤلاء، أظل خجلاً منهم، وهم بدورهم عندما يرون اني لست على شيء، يخيب ظنهم بي، وربما يفترون عن الخدمة.

وحيث ان الحرص في الأمور الأخروية والاستزادة منها مقبول - من جهة - إلاّ انه في مسلكنا، وفي خدمتنا الايمانية، قد يكون لبعض العوارض سبباً للشكوى واليأس بدل الشكر؛ اذ قد يقع الحريص في خيبة الظن من عمله لعدم رؤيته نتائجه، وربما يدع خدمة الايمان. لذا فنحن مكلفون في مسلكنا وفي خدمتنا ضمن دائرة الاخلاص، بالقناعة، وعدم الحرص على نتائج الخدمة وثمراتها على الرغم مما نبديه من حرص شديد وطلب المزيد في امور

الخدمة، وذلك لأن القناعة في النتائج تورث دائماً الشكر والثبات والصلابة.

فمثلاً: ان ما نراه من حصيلة خدمتنا وجهودنا في ترسيخ الايمان وتحقيقه في قلوب الوف المؤمنين - حوالي ولاية اسبارطة - لكاف بان يعطينا قناعة تامة، بحيث لو ظهر من هو بمرتبة عشرة أقطاب من الأولياء الصوفية، واستطاع سَوق ألفٍ من الناس الى مراتب الولاية، فان عمله هذا لا ينقص من أهمية عملنا وقيمته ولا من ثمراته شيئاً، لذا فان طلاب رسائل النور الحقيقيين واثقون كل الثقة ومطمئنون كل الاطمئنان الى مثل هذه النتائج وحصيلة الاعمال. اذ ان القناعة القلبية لدى مريدي ذلك القطب العظيم يحققها ويضمنها المقام الرفيع لاستاذهم ومرشدهم، ويضمنها أحكامه في المسائل، الاّ ان (رسائل النور) تنشيء لدى طلابها درجة من القناعة أكثر بكثير مما عند مريدي ذلك القطب العظيم، بما فيها من حجج قاطعة تسري الى الآخرين فتنفعهم أيضاً، بينما تبقى قناعة اولئك المريدين خاصة بهم وحدهم. اذ ان قبول أقوال الاشخاص العظام بغير دليل لا يفيد اليقين والقطعية في علم المنطق، بل قد تكون قضية مقبولة يقتنع بها الانسان بالظن الغالب. اما البرهان الحقيقي - كما هو في المنطق - فلا ينظر الى مكانة الشخص القائل وانما الى الدليل الذي لا يُجرح.

فجميع حجج (رسائل النور) هي من هذا القسم، اي من «البرهان اليقيني» لأن ما يراه اهل الولاية (الصوفية) من الحقائق بالعمل وبالعبادة وبالسلوك وبالرياضة الروحية، وما يشاهدونه من حقائق الايمان وراء الحجب، فان (رسائل النور) تشاهدها مثلهم ايضاً، غير انها شقت طريقاً الى الحقيقة في موضع العبادة من خلال العلم وفتحت سبيلاً الى حقيقة الحقائق في موضع السلوك من خلال براهين منطقية وحجج علمية، وكشفت طريقاً مباشراً الى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة واصول الدين بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية التي تغلبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر. والواقع هو الشاهد.

وكما ان حقيقة القرآن - التي هي في منتهى القوة وسداد المنطق - قد نجّت سائر الأديان من صولة الفلسفة الطبيعية وتغلبها عليها. وأصبح القرآن نقطة استناد لتلك الاديان حتى حافظت - الى حدٍّ ما - اصولها التقليدية والخارجة عن العقل. فـ (رسائل النور) كذلك - ولا مشاحة في الامثال - وهي معجزة من معجزات القرآن الكريم ونور مفاض منه في هذا الزمان، قد حافظت على الايمان التقليدي لدى عوام المؤمنين من صولة تلك الضلالة العلمية المخيفة الناشئة من الفلسفة المادية، واصبحت نقطة استناد لأهل الايمان كافة، وفي

حكم قلعة حصينة لا تقهر للمؤمنين كافة القاصي منهم والداني على السواء، بحيث انهاً في خضم هذه الضلالات الرهيبة التي لا نظير لها تحفظ أيضا ايمان عوام المؤمنين من ورود الشبهات على ايمانهم واوهام الاباطيل على اسلاميتهم.

نعم، ان اي مؤمن كان في جميع أرجاء العالم، حتى في الهند والصين، ما ان تساوره شبهة من جراء ظهور الضلالة الرهيبة جداً لهذا العصر فيتساءل:

ترى هل في الاسلام شيء من باطل حتى آل أمره الى هذا؟ اذا به يسمع ويدرك انه قد ظهرت رسالة تثبت اثباتاً قاطعاً جميع حقائق الايمان، وتقهر الفسلفة، وتخرس الزندقة، واذا بتلك الشبهة تزول نهائياً فينقذ ايمانه ويقوى.

تبدل الاخلاق بأختلاف المنازل

ان الفضائل والاخلاق، وكذا الحسن والخير، أغلبها أمور نسبية، تتغير كلما عبرت من نوع الى آخر، وتتباين كلما نزلت من صنف الى صنف، وتختلف كلما بدّلت مكاناً بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد الى الجماعة ومن الشخص الى الأمة.

فمثلاً: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه الى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة الى النشوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج.

ومثلاً: ان عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبراً. وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذللاً.

ومثلاً: ان جدية ولي الأمر في مقامه وقار، أما لينُه فهو ذلة. كما ان جديته في بيته دليل على الكبر، ولينه دليل على التواضع.

ومثلاً: ان تفويض الأمر الى الله في ترتيب المقدمات كسل بينما في ترتّب النتيجة توكل. كما ان رضى المرء بثمرة سعيه وقسمته قناعة، يقوي فيه الرغبة في السعي، بينما الاكتفاء بالموجود تقاصر في الهمة.

ومثلاً: ان صفح المرء عن المسيئين وتضحيته بما يملك عمل صالح، بينما هو خيانة ان كان متكلماً عن الغير - باسم الجماعة - وليس له ان يتفاخر بشيء يخصّه، ولكن يمكنه ان يفخر باسم الامة من دون ان يكظم حقها.

الحق يَعلو

● ايها الصديق! سألني احدهم ذات يوم:

لما كان «الحق يعلو» أمر حق لا مراء فيه، فلِمَ ينتصر الكافرُ على المسلم، وتغلُب القوة على الحق؟.

قلت: تأمل في النقاط الاربع الآتية، تنحلّ المعضلة -:

النقطة الاولى:

لا يلزم ان تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كل حقٍّ حقاً، كما لا يلزم أيضاً ان تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كلِّ باطلٍ باطلاً.

فالنتيجة اذن: ان وسيلةً حقة (ولو كانت في باطل) غالبةٌ على وسيلةٍ باطلة (ولو كانت في الحق).

وعليه يكون: حقٌ مغلوب لباطل، مغلوبٌ بوسيلته الباطلة، اي مغلوبٌ موقتاً، والاّ فليس مغلوباً بذاته، وليس دائماً، لأن عاقبة الأمور تصير للحق دوماً.

أما القوة، فلها من الحق نصيبٌ، وفيها سرٌّ للتفوق كامنٌ في خلقتها.

النقطة الثانية:

بينما يجب ان تكون كلُّ صفة من صفات المسلم مسلمةً مثله، الا ان هذا ليس أمراً واقعاً، ولا دائماً!

ومثله، لا يلزم ايضاً ان تكون صفات الكافر جميعها كافرة ولا نابعةً من كفره.

وكذا الأمر في صفات الفاسق، لا يشترط ان تكون جميعُها فاسقة، ولا ناشئة من فسقه.

إذن، صفةٌ مسلمةٌ يتصف بها كافرٌ تتغلب على صفةٍ غير مشروعة لدى المسلم. وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقة) يكون ذلك الكافر غالباً على ذلك المسلم (الذي يحمل صفة غير مشروعة).

ثم ان حقّ الحياة في الدنيا شامل وعام للجميع. والكفر ليس مانعاً لحق الحياة الذي هو تجلٍ للرحمة العامة والذي ينطوي على سر الحكمة في الخلق.

النقطة الثالثة:

للّه سبحانه وتعالى تجليان - يتجلى بهما على المخلوقات - وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا.

اولهما:

الشرع التكويني ـ أو السنة الكونية ـ الذي هو المشيئة والتقدير الالهي الصادر من صفة «الارادة الالهية».

والثاني:

الشريعة المعروفة الصادرة من صفة «الكلام الرباني».

فكما ان هناك طاعةً وعصياناً تجاه الاوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الاوامر التكوينية (أي السنن الكونية والحياتية).

وغالباً ما يرى الاول ـ مطيع الشريعة والعاصي لها ـ جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني ـ مطيع السنن الكونية والحياتية والعاصي لها ـ غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما ان ثواب الصبر النصرُ،

وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل.

كذلك ثواب السعي الغنى،

وثواب الثبات التغلب.

مثلما ان نتيجة السمِّ المرضُ،

وعاقبةَ الترياقِ والدواء الشفاء والعافية.

وتجتمع احياناً اوامر الشريعتين معاً في شيء.. فلكلٍ جهة.

فطاعةُ الأمر التكويني الذي هو حق، هذه الطاعة غالبةٌ ـ لأنها طاعة لأمر إلهي ـ على عصيان هذا الأمر بالمقابل، لأن العصيان ـ لأي أمر تكويني ـ يندرج في الباطل ويصبح جزءاً منه.

فاذا ما اصبح حقٌ وسيلةً لباطلٍ، فسينتصر على باطلٍ اصبح وسيلةً لحق، وتظهر النتيجة:

حقٌ مغلوب أمام باطل! ولكن ليس مغلوباً بذاته، وانما بوسيلته. اذن فـ «الحق يعلو» يعلو بالذات، والعقبى هي المرادة ـ فليس العلو قاصراً في الدنيا ـ الاّ ان التقيّد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولابد منه.

النقطة الرابعة:

إن ظل حقٌ كامناً في طور القوة ـ أي لم يخرج الى طور الفعل المشاهَد ـ أو كان مشوباً بشيء آخر، أو مغشوشاً، وتطلّب الأمر كشف الحق وتزويده بقوة جديدة، وجعله خالصاً زكياً، يُسلّط عليه ـ مؤقتاً ـ باطلٌ، حتى يخلُص الحق ـ نتيجة التدافع ـ من كل درن فيكون طيباً.

ولتظهر مدى قيمة سبيكة الحق الثمينة جداً.

فاذا ما انتصر الباطل في الدنيا ـ في مكان وزمان معينين ـ فقد كسب معركة ولم يكسب كلها، لأن «العاقبة للمتقين» هي المآل الذي يؤول اليه الحق.

وهكذا الباطل مغلوب ـ حتى في غلبه الظاهر ـ وفي «الحق يعلو» سرٌ كامن عميق يدفع الباطل قسهراً الى العقاب في عقبى الدنيا أو الآخرة، فهو يتطلع الى العقبى. وهكذا الحق غالب مهما ظهر انه مغلوب !.

***

• ان تصوير الاباطيل تصويراً جيداً اضلال للاذهان الصافية.

• اذا كان الاتفاق في الحق اختلافاً في الاحق، يكون الحق احياناً احق من الاحق. والحسن احسن من الاحسن. وعلى هذا يحق لكل امرء ان يقول في مذهبه: هو حق، هو حسن. ولكن لا يحق له القول هو الحق هو الحسن.

لطمات الرأفة وصفعات الرحمة

﴿ يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو أنَّ بَيْنَها وبَيْنَهُ أمَداً بَعيداً ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رَؤُوفٌ بالعِبادِ ﴾

(آل عمران: ٣٠).

هذه اللمعة تفسّر سراً من أسرار هذه الآية الكريمة، وذلك بذكر لطمات تأديب رحيمة وصفعات عتاب رؤوفة تلقاها اخوتي الاحبة العاملون في خدمة القرآن الكريم، وذلك من جراء أخطاء ونسيان وغفلة وقعوا فيها بمقتضى جبلتهم البشرية.

وستبين سلسلة من كرامات يجريها الله سبحانه في خدمة قرآنه العظيم.. مع بيان نوع من كرامة الشيخ الكيلاني الذي يمدّ هذه الخدمة المقدسة بدعائه وهمته ويراقبها بإذن إلهي.

نبين هذه الكرامات لعل العاملين في سبيل القرآن يزدادون ثباتاً واقداماً وجدية واخلاصاً.

نعم، ان كرامة العمل للقرآن الكريم، هذه الخدمة المقدسة، ثلاثة أنواع:

النوع الاول: تهيئة وسائل العمل والخدمة، وسَوق العاملين فيها الى الخدمة.

النوع الثاني: رد الموانع من حولها، ودفع الاضرار عنها، وتأديب من يعيق سيرها، بانزال عقوبات بهم.. هناك حوادث كثيرة جداً حول هذين القسمين، ويطول الحديث عنهما لذا نؤجل الكلام فيهما الى وقت آخر خشية السأم. ونشرع في البحث عن النوع الثالث الذي هو أخفها تناولا وابسطها فهماً.

النوع الثالث: هو أن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والاهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجد للخدمة مرة أخرى. ان حوادث هذا القسم تربو على المائة، إلا أننا نسوق هنا ما يقرب من عشرين حادثة جرت على اخواننا، عشر ونيف منهم تلقوا لطمة حنان رؤوفة، بينما تلقى حوالي سبعة منهم لطمة زجر عنيفة.

فالاول منهم هو هذا المسكين.. سعيد، فكلما انشغلت بما يعود خاصة نفسي بما يفتر عملي للقرآن، أو انهمكت في اموري

الخاصة، وقلت: مالي وللآخرين! أتاني التحذير وجاءتني اللطمة؛ لذا بتُّ على يقين من أن هذه العقوبة لم تنزل الاّ نتيجة اهمالي وفتوري في خدمة القرآن؛ لأنني كنت أتلقى اللطمة بخلاف المقصد الذي ساقني الى الغفلة.. ثم بدأنا مع الاخوة المخلصين نتابع الحوادث ونلاحظ التنبيهات الربانية والصفعات التي نزلت باخوتي الآخرين.. فأمعنا النظر فيها، وتقصّينا كلاً منها، فوجدنا أن اللطمة قد أتتهم مثلي حيثما أهملوا العمل للقرآن وتلقوها بضد ما كانوا يقصدونه، لذا حصلتْ لدينا القناعة التامة بأن تلك الحوادث والعقوبات انما هي كرامة من كرامات خدمة القرآن. فمثلاً هذا السعيد الفقير الى الله تعالى.. فعندما كنت منشغلا بالقاء دروس في حقائق القرآن على طلابي في مدينة «وان» كانت حوادث «الشيخ سعيد»(٢) تقلق بال المسؤولين في الدولة. وعلى الرغم من ارتيابهم من كل شخص، لم يمسوني بسوء، ولم يجدوا عليّ حجة مادمت مستمراً في خدمة القرآن. ولكن ما أن قلت في نفسي: ما لي وللآخرين! وفكرت في

نفسي فحسب، وانسحبت الى جبل «أرك» لأنزوي في مغاراته

---

(١) سعيد بيران (البالوي كردي من شيوخ الطريقة النقشبندية ثار ضد السلطات آنذاك، وحوكم ثم اعدم مع (٤٧) من أعوانه في ١٩٢٥/٦/٢٩ .ـ المترجم.

الخربة، وأنجو بنفسي في الآخرة، اذا بهم يأخذوني من تلك المغارة وينفوني من ولاية شرقية الى أخرى غربية، الى «بوردور».

كان المسؤولون في هذه المدينة يراقبون المنفيين مراقبة شديدة، وكان على المنفيين اثبات وجودهم بحضورهم مساء كل يوم لدى الشرطة الا أنني وطلابي المخلصين أستثنينا من هذا الامر ما دمت قائماً بخدمة القرآن، فلم أذهب لاثبات الحضور ولم أعرف أحداً من المسؤولين هناك. حتى أن الوالي شكا من عملنا هذا لدى «فوزي باشا»(١) عند قدومه الى المدينة، فأوصاه: «احترموه! لاتتعرضوا له!». ان الذي أنطقه بهذا الكلام هو كرامة العمل القرآني ليس الا، اذ حينما استولت عليّ الرغبة في انقاذ نفسي واصلاح آخرتي، وفترت عن العمل للقرآن ـ مؤقتاً ـ جاءتني العقوبة بخلاف ماكنت أقصده وأتوقعه، أي نُفيتُ من «بوردور» الى منفى آخر. الى «اسبارطة».

توليت هناك العمل للقرآن العظيم كذلك.. ولكن بعد مرور عشرين يوماً على الخدمة القرآنية كثرت عليّ التنبيهات من بعض المتخوفين، حيث قالوا: ربما لا يحبذ مسؤولو هذه البلدة عملك هذا! فهلاً أخذت الامر بالتأني والتريث؟!.. سيطر عليّ الاهتمام

---

(١) المقصود المارشال فوزي چقماق القائد العام للقوات المسلحة آنذاك ـ المترجم.

بخاصة نفسي وبمصيري فحسب، فأوصيت الاصدقاء بترك مقابلتي وانسحبت من ميدان العمل.. وجاء النفي مرة أخرى.. فنفيت الى منفى ثالث.. الى «بارلا».

وكنت فيها كلما اصابني الفتور في العمل للقرآن واستولى عليَّ التفكير بخاصة نفسي واصلاح آخرتي، كان أحد ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليَّ، وأحد المنافقين يتعرض لي. وأنا على استعداد الآن أن أسرد على مسامعكم ثمانين حادثة من هذا النوع خلال ثماني سنوات قضيتُها في «بارلا» ولكن خشية الملل أقتصر على ما ذكرت.

فيا اخوتي! لقد ذكرت لكم ما أصابتني من لطمات الرأفة وصفعات الشفقة والحنان، فاذا سمحتم بأن أسرد ما تلقيتموه أنتم من لطمات رؤوفة أيضاً فسأذكرها، وأرجو ألا تستاءوا، وان كان فيكم من لا يرغب في ذكرها فلن أصرح باسمه.

المثال الثاني: هو أخي «عبد المجيد» وهو من طلابي العاملين المخلصين المضحين.. كان يملك داراً أنيقة جميلة في «وان» وحالته المعاشية على مايرام، فضلاً عن أنه كان يزاول مهنة التدريس.. فعندما استوجبت خدمة القرآن ذهابي الى مكان بعيد عن المدينة، على الحدود، أردت استصحابه، الا أنه لم يوافق وكأنه رأى أنه من الافضل عدم ذهابي أنا كذلك، حيث قد يشوب العمل للقرآن شيء

من السياسة وقد يعرّضه للنفي، وفضّل المكوث حيث هو ولم يشترك معنا. ولكن جاءته اللطمة الرحمانية بما هو ضد مقصوده، وعلى غير توقع منه، اذ أُخرج من المدينة وأُبعد عن منزله الجميل وأُرغم على الذهاب الى «أركاني».

الثالث: وهو «خلوصي» وهو من البارزين في خدمة القرآن، فعندما سافر من قضاء «أگريدر» الى بلدته، تيسرت له اسباب التمتع بمباهج الدنيا وسعادتها، مما دفعه الى شئ من الفتور عن خدمة القرآن الخالصة لله. حيث التقى والديه اللذين كان قد فارقهما منذ مدة مديدة، وحل في مدينته وهو بكامل بزّته العسكرية ورتبته العالية، فبدت الدنيا له حلوة خضرة.

نعم! ان العاملين في خدمة القرآن إما أن يُعرضوا عن الدنيا أو الدنيا تعرض عنهم، كي ينهضوا بالعمل بجد ونشاط واخلاص.. وهكذا فعلى الرغم من أن قلب «خلوصي» ثابت لايتزعزع، وهو رابط الجأش، فقد ساقه هذا الوضع الجميل الذي ابتسم له، الى الفتور.. فجاءته لطمة ذات رأفة، اذ تعرض له عدد من المنافقين طوال سنتين متواليتين، فسلبوه لذة الدنيا وأفقدوه طعمها، حتى جعلوه يتمعض منها ويعزف عنها، والدنيا تمتعض منه وتعزف عنه، وعندها التف حول راية العمل القرآني واستمسك بها بجد ونشاط.

الخامس: هو «السيد حقي». وحيث أنه ليس حاضراً معنا، فسأنوب عنه كما نبْتُ عن «خلوصي» فأقول:

كان السيد حقي يوفي حق مهمته في العمل للقرآن أيما ايفاء. ولكن عندما عُين قائمقام سفيه للقضاء، فكّر السيد حقي أن يخبئ ما لديه من رسائل خشية أن تصيبه واستاذه أذىً منه، فترك خدمة النور مؤقتاً، واذا بلطمة ذات رحمة وحنان تواجهه، اذ فُتحت عليه دعوى كادت تلجئه الى دفع ألف ليرة كي يبرأ منها، فبات تحت وطأة التهديد طوال سنة كاملة. حتى أتانا عائداً الى وظيفته طالباً في خدمة القرآن، فأنقذه الله من تلك الورطة ورُفع عنه الحكم، وبرئت ساحته.

ثم عندما فُتح أمام الطلاب ميدان عمل جديد للقرآن وهو استنساخه بخط جميل وبنمط جديد، أُعطي للسيد حقي حصته من الاستنساخ، فأجاد القيام بما كلف، وكتب جزءاً كاملا من القرآن الكريم أحسن كتابة، ولكن لأنه كان يرى نفسه في حالة مضطرة من حيث ضروريات العيش، فقد لجأ الى القيام بوكالة الدعاوى أمام المحاكم، من دون علمنا، واذا به يتلقى لطمة أخرى فيها الرأفة والرحمة له، اذ انثنت اصبعه التي كان يكتب بها القرآن الكريم.

وحيث اننا لم نكن نعلم تورطه في هذا العمل فقد كنا حائرين أمام ما نزل باصبعه من بأسٍ، وعجزه عن الاستمرار في كتابة القرآن.

ثم علمنا أن الخدمة المقدسة هذه لاتقبل أن تدخل تلك الاصابع الطاهرة في أمور ملوثة(١)، فكأن الاصبع تقول بهذا الانثناء: لايجوز لك أن تغمسني بنور القرآن الكريم ثم تغرقني في ظلمة الدعاوى. فنبهته..

السابع: هو «الحافظ توفيق» الملقب بالشامي، وسيورد بنفسه الحادثة:

نعم! لقد قمت بأعمال ساقتني الى الفتور في خدمة القرآن. فأتتني لطمة من جرائها، وتيقنت بما لايقبل الشك ان هذه اللطمة ليست الا من تلك الجهة، اذ كانت نتيجة خطأ مني في التفكير وجهل مني في التقدير.

اللطمة الاولى: عندما وزع الاستاذ أجزاء القرآن الكريم علينا، كان حظي منها كتابة ثلاثة أجزاء، حيث قد أنعم الله علي قدرة على كتابة الحروف العربية وتجويدها كخط القرآن الكريم. فالشوق الى كتابة كتاب الله العزيز ولّد فيّ فتوراً عن كتابة مسودات الرسائل وتبييضها، فضلا عن أنه قد أصابني منه شئ من الغرور، حيث كنت

---

(١) حيث الدعاوى في المحاكم تختلط فيها القضايا الباطلة مع الحق.- المترجم.

أعدّ نفسي فائقاً على أقراني في هذا العمل، بما أجده في نفسي من كفاية في حسن الخط العربي. حتى أنه عندما اراد الاستاذ ارشادي الى أمور تخص الكتابة العربية، قلت بشئ من الغرور: هذا الامر يعود لي، أعرف هذا فلا أحتاج الى توصية! فتلقيت لطمة عطف ورأفة نتيجة خطأي هذا، وهي انني عجزت عن بلوغ أقراني في الكتابة، فسبقوني في الجودة.. فكنت احار من أمري هذا، لماذا تخلفت عنهم رغم تميزي عليهم؟! ولكن الآن أدركت أن ذلك كان لطمة رحمانية، ضربتني بها كرامة خدمة القرآن، حيث لاتقبل الغرور!

ثانيتها: كانت لديّ حالتان تخلان بصفاء العمل للقرآن، تلقيت على أثرهما لطمة شديدة. والحالتان هما:

كنت أعد نفسي غريباً عن البلد، بل غريباً حقاً، فلأجل تبديد وحشة الغربة جالست أناساً مغرورين بالدنيا، فتعلمت منهم الرياء والتملق، علاوة على تعرضي لفقر الحال - ولاأشكو - حيث لم اراع دستور الاستاذ المهم في الاقتصاد والقناعة، رغم تنبيه الاستاذ لي على هذه الامور وتحذيري، بل توبيخي أحياناً. فلم أستطع - مع الاسف - انقاذ نفسي من هذه الورطة. نسأل الله العفو والمغفرة. فهاتان الحالتان استغلتهما شياطين الجن والانس فاصاب

العمل للقرآن الفتور، وتلقيت لطمة قوية، الا انها كانت لطمة حنان ورأفة، فأيقنت بما لايدع مجالا للشك أن هذه اللطمة انما هي من ذلك الوضع وكانت على الوجه الآتي:

على الرغم من أنني كنت موضع خطاب الاستاذ وكاتب مسودات رسائله وتبييضها طوال ثماني سنوات. فلم أنل مع الاسف من نورها ما كان يفيض على غيري في ثمانية شهور. فكنت انا والاستاذ حائرين أمام هذا الوضع! ونتساءل: لماذا؟ أي لماذا لايدخل نور حقائق القرآن شغاف قلبي.. بحثنا عن الاسباب كثيراً، حتى علمنا الآن علماً جازماً، ان تلك الحقائق انما هي نور وضياء، ولايجتمع النور مع ظلمات الرياء والتصنع والتزلف للآخرين.. لذا ابتعدت معاني حقائق هذه الانوار عني وغدت كأنها غريبة عني. أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني الاخلاص الكامل اللائق للعمل، وينقذني من الرياء والتذلل لأهل الدنيا. وارجوكم جميعاً – وفي المقدمة ارجو الاستاذ – ان تجهدوا في الدعاء لي.

سؤال:

انك تعد المصائب التي تصيب اخوانك الخواص واصدقاءك تأديباً ربانياً ولطمة عتاب لفتورهم عن خدمة القرآن، بينما الذين يعادون خدمة القرآن ويعادونكم يعيشون في بحبوحة من العيش

وفي سلام وأمان. فلم يتعرض صديق القرآن للّطمة ولايتعرض عدوه لشئ؟

الجواب: يقول المثل الحكيم: (الظلم لايدوم والكفر يدوم) فأخطاء العاملين في صفوف خدمة القرآن هي من قبيل الظلم تجاه الخدمة، لذا يتعرضون بسرعة للعقاب ويجازون بالتأديب الرباني، فان كانوا واعين يرجعون الى صوابهم.

أما العدو فان صدوده عن القرآن وعداءه لخدمته انما هو لأجل الضلالة، وان تجاوزه على خدمة القرآن – سواء شعر به أم لم يشعر – انما هو من قبيل الكفر والزندقة، وحيث ان الكفر يدوم، فلا يتلقى معظمهم الصفعات بذات السرعة، اذ كما يعاقب من يرتكب أخطاء طفيفة في القضاء او الناحية، بينما يساق مرتكبو الجرائم الكبيرة الى محاكم الجزاء الكبرى، كذلك الاخطاء الصغيرة والهفوات التي يرتكبها أهلُ الايمان وأصدقاء القرآن يتلقون على إثرها جزاءاً من العقاب بسرعة في الدنيا ليكفّر عن سيئاتهم ويتطهروا منها، أما جرائم أهل الضلالة فهي كبيرة وجسيمة الى حد لاتسع هذه الحياة الدنيا القصيرة عقابهم، فيمهّلون الى عالم البقاء والخلود والى المحكمة الكبرى لتقتص منهم العدالة الإلهية القصاص العادل، لذا لايلقون غالباً عقابهم في هذه الدنيا.

وفي الحديث الشريف: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)(١) اشارة الى هذه الحقيقة التي ذكرناها، أي أن المؤمن ينال نتيجة تقصيراته قسماً من جزائه في الدنيا، فتكون بحقه كأنها مكان جزاء وعقاب، فضلا عن أن الدنيا بالنسبة لما أعده الله له من نعيم الآخرة سجن وعذاب. أما الكفار فلأنهم مخلّدون في النار، ينالون قسماً من ثواب حسناتهم في الدنيا، وتُمهَل سيئاتهم العظيمة الى الآخرة الخالدة، فتكون الدنيا بالنسبة لهم دار نعيم لما يلاقونه من عذاب الآخرة. والا فالمؤمن يجد من النعيم المعنوي في هذه الدنيا ما لاينالـه أسعد انسان. فهو أسعد بكثير من الكافر من زاوية نظر الحقيقة وكأن ايمان المؤمن بمثابة جنة معنوية في روحه وكفر الكافر يستعر جحيماً في ماهيته.

توجيه مجرى السجايا

• أرى ان أسعد انسان في هذه الحياة الدنيا هو ذلك الذي يتلقى الدنيا مضيف جندية ويذعن انها هكذا ويعمل وفق ذلك، فهو بهذا التلقي يتمكن أن ينال أعظم مرتبة ويحظى بها بسرعة،

---

(١) رواه مسلم (برقم ٢٩٥٩) وابن ماجه (٤١١٣) والترمذي (٢٣٢٤) وأحمد في مسنده (٢/٤٨٥) وكلهم عن ابي هريرة.ـ المترجم.

تلك هي مرتبة رضى الله سبحانه، اذ لا يمنح قيمة الالماس الثمينة الباقية لقطع زجاجية تافهة، بل يجعل حياته تمضي بهناء واستقامة.

نعم! ان الأمور التى تعود الى الدنيا انما هي بمثابة قطع زجاجية قابلة للكسر بينما الأمور الباقية التي تخص الآخرة الخالدة هي بقيمة الألماس المتين الثمين.

فما في فطرة الانسان من رغبة ملحة ومحبة جياشة وحرص رهيب وسؤال شديد واحاسيس اخرى من أمثال هذه، وهي احاسيس شديدة وعريقة، انما وهبت له ليغنم بها أموراً اخروية. لذا فان توجيه تلك الأحاسيس وبذلها بشدة على أمور دنيوية فانية انما يعني اعطاء الالماس قيمة قطع زجاجية تافهة.

ولقد وردت هذه النقطة على خاطري لمناسبة هذه المسألة فسأذكرها لكم، وهي:

ان العشق محبة قوية شديدة، فحينما يتوجه الى محبوبات فانية. فان ذلك العشق اما يجعل صاحبه في عذاب أليم مقيم، أو يدفعه ليتحرى عن محبوب باقٍ حقيقي، حيث لا يستحق ذلك المحبوب المجازي تلك المحبة الشديدة. وعندها يتحول العشق المجازي الى عشق حقيقي.

وهكذا ففي الانسان ألوف من أمثال هذه الأحاسيس، كل منها لها مرتبتان كالعشق، احداهما: مجازية، والأخرى: حقيقية.

فمثلاً: القلق على المستقبل. هذا الاحساس موجود في كل انسان، فعندما يقلق قلقاً شديداً على المستقبل يرى انه لا يملك عهداً للوصول الى ذلك المستقبل الذي يقلق عليه، فضلاً عن أن ذلك المستقبل القصير الأمد مكفول من حيث الرزق ـ من قبل الرزاق ـ فاذن لا يستحق كل هذا القلق الشديد. وعندها يصرف وجهه عنه، متوجهاً الى مستقبل حقيقي مديد، وهو ما وراء القبر والذي لم يكفل للغافلين.

ثم ان الانسان يبدي حرصاً شديداً نحو المال والجاه، ولكنه يرى أن ذلك المال الفاني الذي هو امانة بيده مؤقتاً، وذلك الجاه الذي هو مدار شهرة ذات بلاء، ومصدر رياء مهلك، لا يستحقان ذلك الحرص الشديد. وعند ذلك يتوجه الى الجاه الحقيقي الذي هو المراتب المعنوية، ودرجات القرب الالهي، وزاد الآخرة، ويتوجه الى المال الحقيقي الذي هو الاعمال الاخروية. فينقلب الحرص المجازي الذي هو اخلاق ذميمة الى حرص حقيقي الذي هو اخلاق حميدة سامية.

ومثلاً: يعاند الانسان ويثبت ويصر على أمور تافهة زائلة فانية، ثم يشعر انه يصر على شيء سنة واحدة، بينما هو لا يستحق إصرار دقيقة واحدة. فليس الا الاصرار والعناد يجعله يثبت على أمور ربما

هي مهلكة ومضرة به. ولكن ما ان يشعر أن هذا الحس لم يوهب له ليبذله في مثل هذه الامور التافهة، وإن صرفه في هذا المجال مناف للحقيقة والحكمة، تراه يوجه ثباته وإصراره وعناده الشديد في تلك الامور الى أمور باقية وسامية ورفيعة تلك هي الحقائق الايمانية والاسس الاسلامية والاعمال الاخروية. وعندها ينقلب الحس الشديد التافهة للعناد المجازي الذي هو خصلة مرذولة الى خصلة سامية وسجية طيبة وهي العناد الحقيقي وهو الثبات الشديد على الحق.

وهكذا على غرار هذه الامثلة الثلاثة فان الاجهزة المعنوية الممنوحة للانسان اذا ما استعملها في سبيل النفس والدنيا غافلاً وكأنه مخلد فيها - تصبح تلك الاجهزة المعنوية منابع اخلاق دنيئة ومصادر اسرافات في الامور ومنشأ عبثية لا طائل وراءها. ولكن اذا ما وجّه احاسيسه تلك، الخفيفة منها الى الدنيا والشديدة منها الى العقبى واعمال الآخرة والافعال المعنوية، فانها تكون منشأ للاخلاق الفاضلة وسبيلا ممهداً الى سعادة الدارين ومنسجماً انسجاماً تاماً مع الحكمة والحقيقة.

ومن هنا فانى اخال ان سبباً من اسباب عدم تاثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: انهم يقولون لسيئى الخلق: لا تحسدوا

لا تحرصوا. لا تعادوا. لا تعاندوا. لا تحبوا الدنيا. بمعني انهم يقولون لهم غيّروا فطرتكم. وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر. ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات الى امور الخير، غيّروا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس او تكون ضمن نطاق ارادة الانسان واختياره.

التقوى والعمل الصالح

- اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لقد فكرت – في هذه الايام – في أسس التقوى والعمل الصالح، اللذين هما اعظم اساسين في نظر القرآن الكريم بعد الايمان.

فالتقوى: هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات. والعمل الصالح : هو فعل المأمور لكسب الخيرات.

ففي هذا الوقت الذي يتسسم بالدمار (الاخلاقي والروحي) وباثارة هوى النفس الامارة، وباطلاق الشهوات من عقالها.. تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً بل ركيزة الأسس، وتكسب افضلية عظيمة حيث انها دفع للمفاسد وترك للكبائر، اذ ان درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت.

وحيث ان التيارات المدمرة (للروح والاخلاق) اخذت تتفاقم في هذا الوقت، فقد اصبحت التقوى اعظم اساس واكبر سد لصد هذا الدمار الرهيب. فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر، ينجو باذن الله، اذ التوفيق الى عمل خالصٌ مع هذه الكبائر المحيطة امر نادر جداً.

ان عملاً صالحاً ولو كان قليلاً يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة.

ثم ان هناك نوعاً من عمل صالح ضمن التقوى نفسها، لان ترك الحرام واجب والقيام بالواجب ثوابه اكثر من كثير من السنن والنوافل.

ففي مثل هذه الأزمان التي تهاجم الذنوب والسيئات من كل جانب يكون اجتنابٌ واحد لأثم واحد مع عمل قليل، بمثابة ترك لمئات من الآثام (التي تترتب على ذلك الإثم) وقيام بمئات من الواجبات.

هذه النقطة جديرة بالاهتمام، ولا تحصل الا بالنية الخالصة وبالتقوى وقصد الفرار من الآثام والذنوب، ويغنم المرء بها ثواب اعمال صالحة نشأت من عبادة لم يصرف فيها جهداً.

ان اهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدام القرآن الكريم، في هذا الوقت هي:

اتخاذ التقوى أساساً في الاعمال كلها، ثم التحرك وفقها امام تيار الدمار الرهيب المتهاجم والآثام المحيطة بهم، اذ يواجه الانسان ضمن انماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة، فالتقوى هي التي تجعل بلا شك الانسان كأنه يقوم بمئات من الاعمال الصالحة، وذلك باجتنابه تلك المحرمات.

من المعلوم ان عشرين شخصاً في عشرين يوماً لا يستطيعون بناء عمارة واحدة في حين يستطيع ان يهدمها شخص واحد في يوم واحد.

لذا فالذي يقوم بالهدم والدمار (الاخلاقي والروحي) ينبغي ان يقابَل بعشرين ممن يبنون ويعمرون تلك النواحي، بيد أننا نرى العكس. فالالوف من الهدامين لا يقابلهم الا معمر واحد وهو رسائل النور.

لذا فمقاومة خدام القرآن الكريم وحدهم تلك التخريبات المريعة انما هي عمل خارق جداً! فلو كانت هاتان القوتان المتقابلتان على مستوى واحد من القوة، لكنت ترى في التعمير والبناء (الروحي والاخلاقي) خوارق وفتوحات عظيمة جداً.

ولنضرب مثلاً واحداً فقط:

ان أعظم ركيزة في الحياة الاجتماعية هي: توقير الصغير للكبير ورحمة الكبير على الصغير. الا اننا نرى ان هذا الاساس قد تصدع كثيراً. حتى اننا نسمع اخباراً مؤلمة جداً، وحوادث مفجعة جداً تجاه الآباء والامهات، تقع من جراء خراب هذا الاساس الراسخ.

ولكن بفضل الله فان الرسائل القرآنية اينما حلت قاومت الدمار، وحالت دون تهدم هذا الاساس الاجتماعي المتين، بل حاولت تعميره.

فكما يعيث ياجوج وماجوج في الارض الفساد بخراب سد ذي القرنين، فان فساداً أبشع من فساد ياجوج وماجوج قد دبّ في العالم وأحاطه بظلمات الارهاب والفوضى وعم الحياة والاخلاق مظالم شنيعة والحاد شنيع. فظهر الفساد في البر والبحر، نتيجة تزلزل السد القرآني العظيم، وهو الشريعة المحمدية الغراء.

لذا فان الجهاد المعنوي لطلاب النور هذا التيار الجارف يعدّ - باذن الله - جهاداً عظيم الثواب ، اذ فيه قبس من جهاد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين يثابون بعمل قليل ثواباً عظيماً.

فيا اخوتي الاعزاء:

في مثل هذه الاوقات العصيبة، وامام هذه الاحداث الجسام، فان اعظم قوة لدينا - بعد قوة الاخلاص - انما هي قوة الاشتراك في الاعمال الاخروية؛ اذ يكتب كل منكم في دفتر اعمال اخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الامداد والعون الى قلعة التقوى وخنادقها.

ولا سيما اخوكم الفقير العاجز هذا السعيد الذي اشتدت عليه غارات الهجوم من كل جهة، فهو احوج ما يكون الى مساعدتكم في هذه الاشهر الثلاثة المباركة ، وفي هذه الايام المشهودة.

ولا استبعد هذا منكم قط، فانتم اهل لهذا السعي، وانتم الابطال الاوفياء المشفقون على حال اخيكم، وانا اطلب منكم هذا الامداد المعنوي بكل جوارحي ومن صميم روحي.

وبدوري سأشرك الطلاب في دعواتي، وحسناتي المعنوية، بل ربما ادعو لكم في اليوم اكثر من مئة مرة باسم طلاب النور، بشرط الالتزام بالإيمان والوفاء ، وذلك دستور الاشتراك في الاعمال الاخروية.

ما الذي ألقانا في غياهب الضياع؟

• سؤال: ما الذي القانا في غياهب الضياع واقعدنا عن معالي الامور؟

الجواب:

ان الحياة حركة وفعالية، أما الشوق فجوادُها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطي همتُكم صهوة جواد الشوق ناشدة معالي الامور في ميادين معركة الحياة، اذا بـ «اليأس» أول ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذي يفتّ من قوة الهمة... فعليكم ان تضربوه بسيف الآية الكريمة: ﴿لا تقنطوا﴾.

ثم يشن «حب الظهور وميل التفوق» هجومه، هذا الميل المغروز في الانسان يحاول التحكم على خدمة الحق الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوي بضرباته على رأس الهمة ويطرحها الارضَ من على جوداها..

فعليكم ان تبعثوا اليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿كونوا قوامين﴾.

ثم يبرز الى الميدان «الاستعجال» فيُزلّ قدم الهمة ويُقلبها على عقبيها بطفراته خطوات ترتب الاسباب والمسببات فتشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سننه الكونية..

فعليكم ان تحتمسوا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾.

ثم يتصدى لها «الرأي الشخصي» المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد اعمال الانسان، رغم انه مكلّف بفطرته رعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين..

فعليكم ان تصدوه بالحقيقة الشامخة في الحديث الشريف: (خير الناس أنفعهم للناس).

ثم يخرج الى ساحة المعركة عدوٌّ آخر وهو: «التقليد» فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالي والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة..

فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾. على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصناً للهمة.

ثم يلوح العدوّ الغدّار وهو: «التسويف» الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الاعمال الاخروية من اليوم الى الغد، وهكذا حتى يمسك يدّ الهمة ويقعدها عن النهوض..

فعليكم تحدّيه بالحقيقة الشاهقة، تلك هي حكمة الآية الكريمة:

﴿لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ كيلا تبلغ يدُ العدو أذيال الهمة.

ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو: «التدخل في ما هو موكول امره الى الله» فينزل هذا التدخل بضرباته القاسية ولطماته الموجعة على وجه الهمة حتى يُعمى بصرها...

فعليكم ان ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابحة دوماً وهي الآية الكريمة: ﴿فاستقم كما امرت﴾ كي تقفه عند حدّه، فلا يتجاوزه، اذ ليس للعبد ان يتأمر على سيده.

واخيراً يُقبل «حب الراحة والدعة» الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصفّد الهمة الكريمة بسلاسله واغلاله ويقعدها عن طلب معالي الامور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة..

فعليكم ان تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطلّ المجاهد في الآية الكريمة: ﴿وأن ليس للانسان الاّ ما سعى﴾.

حقاً ان لكم في الجهاد وتحمّل المشاق راحة كبرى، وان الذي يملك فطرة حساسة راحتُه في السعي والعمل.

الجزاء العاجل للحسنات والسيئات

● ان من كمال كرم الله سبحانه وسعة رحمته وطلاقة عدالته ان ادرج ثواباً ضمن اعمال البر، واخفى عقاباً معجلاً في اعمال الفساد والسيئات. فقد ادرج طي الحسنات لذائذ وجدانية معنوية ما يذكّر بنعم الآخرة، وادرج في ثنايا السيئات اعذبة معنوية ما يحسس بعذاب الآخرة الاليم.

فمثلاً: ان افشاء المحبة والسلام في صفوف المؤمنين، انما هو حسنة كريمة للمؤمن، فله ضمن هذه الحسنة لذة معنوية وذوقاً وجدانيا وانشراحاً قلبياً ما يذكّر بثواب الآخرة المادي. وكل من يتفقد قلبه يشعر بهذا الذوق.

ومثلاً: ان بث الخصومة والعداء بين المؤمنين انما هو سيئة قبيحة. فهذه السيئة تنطوي على عذاب وجداني وايّ عذاب، بحيث يأخذ بخناق القلب والروح معاً، فكل من يملك روحاً حساسة وهمة عالية يشعر بهذا العذاب.

ولقد مررت بنفسي - طوال حياتي - بأكثر من مئة تجربة على هذا النوع من السيئات. فكنت كلما حملت عداءً على أخ مؤمن تجرعت عذاب تلك العداوة، حتى لم يبق لي ريب من ان هذا

العذاب انما هو عقاب معجل لسيئتي التي ارتكبتها. فاعاقب عليها واعذب بها.

ومثلاً: أن توقير الجديرين بالاحترام والتوقير وابداء العطف والرحم لمن يستحقه عمل صالح وحسنة للمؤمن. ففي هذه الحسنة تكمن لذة عظيمة ومتعة وجدانية الى حد قد تسوق صاحبها الى التضحية حتى بحياته. فان شئت فانظر الى اللذة التي تكسبها الوالدات من بذل شفقتهن لاولادهن، حتى أنها تمضي في سبيل تلك الرأفة والشفقة الى الجود بنفسها، بل ترى هذه الحقيقة واضحة حتى في عالم الحيوان، فالدجاجة تهاجم الاسد دفاعاً عن فراخها.

اذن ففي الاحترام والرأفة أجرة معجلة. يشعر بهذه اللذة اولئك الذين يملكون أرواحاً عالية ونفوساً ابية شهمة.

ومثلاً: ان في الحرص والاسراف عقوبة معنوية معجلة وجزاء قلبياً، اذ يجعل صاحبه ثملاً من كثرة الشكوى والقلق، فترى العقوبة نفسها بل اشد منها في الحسد والتنافس والغيرة، حتى أن الحسد يحرق صاحبه قبل غيره. وتنقلب الآية في التوكل والقناعة، اذ فيهما ثواب وأي ثواب بحيث انه يزيل آثار المصائب واوضار الفاقة والحاجة.

ومثلاً: ان الغرور والتكبر حمل ثقيل مقيت على كاهل الانسان، حيث انه يتعذب من رؤيته استثقال الآخرين له في الوقت الذي ينتظر منهم احترامه.

نعم! الاحترام والطاعة توهب ولا تطلب.

ومثلاً: ان في التواضع وترك الغرور والكبر لذة عاجلة ومكافأة آنية يتخلص المتواضع من عبء ثقيل وهو التصنع والرياء.

ومثلاً: ان في سوء الظن وسوء التأويل جزاءً معجلاً في هذه الدنيا. حتى غدت «من دقّ دُقّ» قاعدة مطردة. فالذي يسيء الظن بالناس يتعرض حتماً لسوء ظنهم. والذي يؤول تصرفات اخوانه المؤمنين تأويلاً سيئاً، لا محالة سيتعرض للجزاء نفسه في وقت قريب.

وهكذا فقس على هذا المنوال جميع الخصال الحسنة والذميمة.

نسأل الله الرحيم ان يرزق الذين يتذوقون طعوم الاعجاز القرآني المعنوي المنبعث من (رسائل النور) في زماننا هذا ذوق تلك اللذائذ المعنوية المذكورة، فلا تقرب اليهم بإذن الله الاخلاق الذميمة.

الاسلام يرفض التحايز

ان ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلاً.. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى، فضلاً عن ان العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

نملك النور لا الصولجان

أولاً: ليعلم ذلك الشخص، واعلموا أنتم كذلك، انني خادم (رسائل النور)، ودلاّل ذلك الدكان. اما (رسائل النور) فهي تفسير حقيقي للقرآن الكريم وهي وثيق الصلة به، ذلك الكتاب الجليل المرتبط بالعرش الاعظم، لذا لا تسري اخطائي وتقصيراتي

الشخصية الى الرسائل...

ثانياً: بلّغوا ذلك العالم الواعظ عني السلام. فانني أقبل انتقاده لشخصي واعتراضه عليّ بتقدير وبرحابه صدر. وانتم بدوركم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل ولا امثاله من العلماء الى المناقشة والمناظرة. ولو حدثت تعدٍّ وتجاوز علينا، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليهم. اذ ان ذلك المتجاوز أو المعترض ايا كان، هو أخونا من حيث الايمان لأنه مؤمن. ولو عادانا هو، فلا نستطيع ان نعاديه بمثل عدائه، حسب ما يرشدنا اليه مسلكنا. لأن هناك اعداء شرسين وحيات لاذعة ونحن لا نملك سوى النور، لا الصولجان. والنور لا يؤلم، بل يلاطف بضيائه، ولاسيما الذين هم ذوو علم فلا تثيروا غرورهم العلمي ان كانوا على غرور وانانية، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية الكريمة: ﴿واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾.

ثم ان ذلك الشخص المحترم، قد كان داخلاً في دائرة (رسائل النور) وقد اشترك في استنساخ الرسائل، فهو اذن ضمن تلك الدائرة، فاصفحوا عنه ولو كان يحمل خطأً فكرياً.

فليس مثل هذا الشخص الفاضل من ذوي الدين والتقوى المنسوبين الى الطرق الصوفية بل حتى المؤمنين المنسوبين الى فرق ضالة، ينبغي الاّ نثير معهم نزاعاً وخصاماً في هذا العصر العجيب،

بل لا نجعل نقاط اختلاف ونزاع موضع نقاش مع المؤمنين بالله واليوم الآخر حتى لو كان من النصارى.

هكذا يقتضي هذا العصر العجيب، وهكذا يقتضي مسلكنا الذي نسلكه، وهكذا تقتضي خدمتنا المقدسة.

رحم الله امرءً ا أهدى لي عيوبي

• قبل سنتين ذكر مدير مسؤول في غيابي كلمات ملفقة فيها اهانة وتحقير لي، دون سبب ومبرر. ونُقل الكلام اليّ، تألمت ما يقرب من ساعة باحاسيس سعيد القديم. ثم وردت برحمته سبحانه وتعالى الى القلب حقيقة أزالت ذلك الضيق، ودفعتني لأصفح عن ذلك الشخص. والحقيقة هي:

قلت لنفسي: ان كان تحقيره وما أورده من نقائص تخص شخصي ونفسي بالذات، فليرض الله عنه اذ اطلعني على عيوب نفسي. فان كان صادقاً، فسوف يسوقني اعتراضه الى تربية نفسي الامارة وتأديبها، فهو اذاً يعاونني في النجاة من الغرور. وان كان كاذباً، فهو عون لي ايضاً للخلاص من الرياء، ومن الشهرة الكاذبة التي هي اساس الرياء.نعم! انني لم اصالح نفسي قط؛ لانني لم

اربّها. فان نبـهني أحدٌ على وجود عقرب في أي جزء من جسمي، عليّ ان ارضى عنه، لا امتعض منه.

اما ان كـانت اهاناته تعود لصـفة كـوني خادماً لـلايمان والقرآن، فتلك لا تعـود لي، فاحيل ذلك الشخص الى صـاحب القرآن الذي استخدمني في هذه المهمة، فهو عزيز حكيم.

وان كان كـلامه لأجل تحقـيري واهانة شـخصي بالذات والحط من شـأني، فهـذا ايضاً لا يخـصني، لأنني أسـير مكبل وغـريب في هذا البلد، فالـدفاع عن كرامـتي ليس لي فيه نصـيب، بل يخص من يحكم هذه القـرية ثم القضـاء ثم المحافظة التي انا ضـيف لديهم. اذ إن اهانة اسير تعود الى مالكه، فهو الذي يدافع عنه.

فاطمأن القلـب بهذه الحقيقة، وتلوتُ: ﴿وأُفوّضُ أمري الى الله إنّ الله بَصيرٌ بالـعباد﴾(غافر: ٤٤) واهملت الحـادثة واعتبرتهـا لم تقع، ونسيتها.

علاج دواعي الاختلاف

• أمـا اهل الدين واصحـاب العلم وارباب الطرق الصـوفية فـان وظيفة كل منهم متوجهة الى الجميع، وأن اجرتهم العاجلة غير متعينة

وغير متخصصة، كما ان حظهم من المقام الاجتماعي وتوجه الناس اليهم والرضى عنهم لم يتخصص ايضاً.

فهنالك مرشحون كثيرون لمقام واحد، وقد تمتد أيد كثيرة جداً الى اية اجرة — مادية كانت أو معنوية — ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة. فيتبدل الوفاق نفاقاً والاتفاق اختلافاً وتفرقاً.

فلا يشفي هذا المرض العضال الا مرهم الاخلاص الناجع، اي: ان ينال المرء شرف امتثال الآية الكريمة: ﴿ إنْ اَجرِيَ إلاّ عَلَى اللهِ ﴾ (يونس: ٧٢) بايثار الحق والهدى على اتباع النفس والهوى، وبترجيح الحق على أثرة النفس.. وان يحصل له امتثال بالآية الكريمة: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاّ الْبَلاغُ الْمُبينُ ﴾ (النور: ٥٤) :باستغنائه عن الاجر المادي والمعنوي — المقبلين من الناس —(١) مدركاً ان استحسان الناس كلامه وحسن تأثيره فيهم ونيل توجههم اليه هو مما يتولاه الله سبحانه وتعالى ومن احسانه وفضله وحده، وليس داخلاً ضمن وظيفته التي هي منحصرة في التبليغ فحسب. بل لا يلزمه ذلك ولا هو مكلف به اصلا.

فمن وفّقه الله الى ما ذُكر آنفاً يجد لذة الاخلاص، والاّ يفوته الخير الكثير.

ما ينجم من العداوة والعناد

• ان الاخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، اذ يضيع الاخلاص!. ذلك لان المعاند الذي ينحاز الى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها. فلا يوفق توفيقاً كاملاً الى عمل خالص لوجه الله. ثم انه لا يوفق ايضاً الى العدالة، اذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم.. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر، «الاخلاص والعدالة» بالخصام والعداء.

عادِ ما في قلبك من العداوة

• انَ كنت تريد ان تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في اطفاء نارها واستئصال شأفتها. وحاول ان تعادي من هو أعدى عدوك واشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسع الى اصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها.

وان كنت تريد العداء أيضاً فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون.

واعلم ان صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما ان خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر.

الاختلاف الايجابي والسلبي

● الاختلاف الايجابي البناء المثبت، معناه: ان يسعى كل واحد لترويج مسلكه واظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون ان يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وابطال مسلكهم، بل يكون سعيه لاكمال النقص ورأب الصدع والاصلاح ما استطاع اليه سبيلاً.

اما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث النبوي، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء..

تجنبوا التفرق والتحزب

● ان كان التفرق والتحزب لأجل الحق وباسمه، فلربما يكون ملاذ أهل الحق، ولكن الذي نشاهده من التفرق انما هو لأغراض شخصية ولهوى النفس الامارة بالسوء. فهو ملجأ ذوي النيات السيئة بل متكأ الظلمة ومرتكزهم، فالظلم واضح في تصرفاتهم، فلو أتى شيطان الى أحدهم معاوناً له موافقاً لرأيه تراه يثني عليه ويترحم

عليه، بينما اذا كان في الصف المقابل انسان كالملك تراه يلعنه ويقذفه.

الاتفاق في الاسس وإن اختلفت الوسائل

• ان تصادم الاراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق، وفي سبيل الوصول الى الحقيقة انما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الاسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع ان يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة واظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن ان كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء واشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع «بارقة الحقيقة» في هذا النوع من بسط الافكار، بل تتولد «شرارة الفتن». فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقاً في المقصد والغاية، بل ليس هناك أحد على الكرة الارضية نقطة تلاقٍ لأفكارهم، ذلك لانه ليس لأجل الحق، فترى فيه الافراط البالغ دون حدود، مما يفضي الى انشقاقات غير قابلة للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا..

حب المال والطمع ثغرة

• كنت أرفض قبول أموال الناس وهداياهم منذ نعومة أظفاري. فما كنت أتنازل لإظهار حاجتي للآخرين رغم انني كنت فقير الحال وفي حاجة الى المال، وما كنت زاهداً ولا صوفياً ولا صاحب رياضة روحية، فضلاً عن انني ما كنت من ذوي الحسب والنسب والشهرة.

فازاء هذه الحالة كنت أحار من امري كما كان يحار من يعرفني من الأصدقاء. ولقد فهمت من قبل بضع سنين حكمتها، انها كانت لأجل عدم الرضوخ للطمع والمال، ولأجل الحيلولة دون مجيء اعتراض على (رسائل النور) في مجاهداتها، فقد أنعم علي الباري عزوجل تلك الحالة الروحية.. والا كان أعدائي الرهيبين ينزلون بي ضربتهم القاضية من تلك الناحية.

اسس العمل مع المعترضين

• لما كان أولياء الله الصالحون لا يمكنهم ان يعرفوا الغيب - إن لم يلهمهم الله سبحانه تعالى - حيث لا يعلم الغيب الا الله؛ لذا فان اعظم ولي صالح لا يستطيع ان يطلع على حقيقة وواقع الحال عند ولي آخر، بل ربما يعاديه لعدم علمه بحقيقته، وما حدث فيما بين

بعض العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، خير دليل على هذا.

وهذا يعني ان وليين اثنين اذا ما انكر أحدهما على الآخر، فان ذلك لا يسقطهما من مقام الولاية ومنزلتها الآ اذا كان هناك أمر يخالف مخالفة كلية لظاهر الشريعة. لذا:

١ـ اتباعاً بدستور الآية الكريمة ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾.

٢ـ وحفاظاً على ايمان المؤمنين من التصدع، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم.

٣ـ وبناء على ما يلزم من انقاذ طلاب النور الاركان المخلصين من سَورة الغضب المضرة ـ مع كونها محقة ـ على اعتراضات باطلة.

٤ـ واجتناباً لما يستفيد منه أهل الالحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الاولى بسلاح الاخرى واعتراضاته، وتهوين شأن الثانية بدلائل الاولى، ودحرهما معاً.

على طلبة النور حسب الأسس المذكورة:

الآ يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل عليهم ان يكتفوا بالدفاع عن انفسهم فحسب، مع اظهار روح

المصالحة، والاجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض، حيث ان الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشرأبت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يذيب انانيته ـ التي هي كقطعة ثلج بطول قامته ـ ولا يرغب في تغييرها بل يسوّغ لنفسه ويراها معذورة دائماً. وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب اصحاب الحق وأهله.

أفضل الاعمال احمزها

فما دمنا مستسلمين للقدر الإلهي، وهذه المضايقات التي نشعر بها تعدّ وسيلة لكسب ثواب اكثر ونيل أجر أكبر، وذلك بمضمون القاعدة: «خير الأمور أحمزها»(١) لذا نعتبرها من هذه الناحية نعمة معنوية.

ثم ان المصائب الدنيوية الزائلة تنتهي بالافراح والخيرات على الأكثر. ونحن مقتنعون قناعة تامة بحق اليقين اننا قد نذرنا حياتنا على حقيقة جليلة اسطع من الشمس، وجميلة كجمال الجنة، وحلوة لذيذة كلذة السعادة الأبدية. لأجل ذلك ما ينبغي أن يصدر منا الشكوى قط بل تدفعنا هذه الأحوال الصعبة الى ان نقول: نحن في جهاد معنوي نعتز به ونشكر ربنا الكريم الذي تفضل به علينا.

---

(١) أي أمتنها وأقواها. المترجم.

مريد ونصف مريد

• اخوتي الأوفياء الاعزاء!

فيما مضي، كان مريدون كثيرون جداً ينتمون الى شيخ جليل، في بلد من البلدان، فقلقت منهم رجالات الدولة فيها، خوفاً من تعرضهم لامور السياسة، فارادوا تشتيت جماعة الشيخ. فقال لهم: ليس لي الا مريد واحد ونصف مريد، لا غير، وان شئتم، نقيم عليهم التجربة والاختبار.

نصب الشيخ خيمة في ضاحية من ضواحي المدينة، ودعا الألوف من مريديه الى هناك ثم امر بقوله:" سوف أجري امتحاناً، فمن كان حقاً مريدي ويطيع أمري فسيمضي الى الجنة. فدعاهم الى الخيمة واحداً إثر واحد، الاّ انه ذبح خروفاً بطريقة خفية. وبدا للمريدين كأنه ذبح أحد مريديه الخواص وارسله الى الجنة. وما ان رأى الوف المريدين جريان الدم من الخيمة الى الخارج تراجعوا عنه ولم يسمعوا لأمره، بل رفضوه وانكروا عليه، الاّ رجلاً واحداً قال:

ليكن رأسي فداء له، فذهب اليه، ثم اعقبته امرأة، اما الآخرون فتفرقوا عنه. فقال ذلك الشيخ لرجال الدولة: ها قد شاهدتم ان لي مريداً ونصف مريد!

اما نحن فنشكره تعالى بالف شكر وشكر، اذ لم تفقد (رسائل النور) الا طالب ونصف طالب في امتحان (اسكي شهر) ومحاكماتها، بخلاف ذلك الشيخ - في السابق - حيث انضم الى الطلاب عشرة الاف شخص بدلاً من الواحد والنصف الضائع، وذلك بفضل الله ثم وهمة وجهود ابطال (اسبارطة) وحواليها.

وباذن الله لن يضيع الكثيرون في هذا الامتحان، بهمة ابطال شرقي البلاد وغربيها، بل ينضم بدلاً من الضائع الواحد عشر اشخاص.

حكمة الابتلاء والتمحيص

• اخواني الاعزاء ذوو الشفقة والوفاء.

لقد اشتد عليّ منذ يومين أثر الرشحة (الزكام) سواء في راسي وفي اعصابي. ففي مثل هذه الحالات اشعر بحاجة الى الانس بالاصدقاء والتسلي بلقائهم ولكن ضايقتني وحشة الانفراد والتجريد

العجيب مضايقة شديدة، فورد الى القلب شكوى على هذه الصورة.

لِمَ هذا التعذيب؟ وما فائدته لخدمتنا في سبيل القرآن والايمان؟

وفجأة أُخطر للقلب صباح هذا اليوم الآتي:

ان دخولكم هذا الامتحان القاسي، وتمييزكم الدقيق في المحك مرات عدة ليخلص الذهب عن النحاس، واختباركم من كل جانب وناحية بتجارب ظالمة لمعرفة مدى بقاء حظوظ نفوسكم الامارة ودسائسها. ومن ثم تمحيصكم بثلاث ممحصات، كان ضرورياً جداً لخدمتكم التي هي خالصة لوجه الحق والحقيقة، لذا سمح القدر الالهي والعناية الربانية به، لان الاعلان عن هذه الخدمة السامية، في ميدان امتحان كهذا، تجاه معارضين عنيدين ظلمة يتشبثون بأتفه حجة... جعل الناس يفهمون: ان هذه الخدمة القرآنية نابعة من الحق والحقيقة مباشرة، ولا تداخلها حيلة وخداع ولا أنانية ولاغرور، ولا غرض شخصي ولامنافع دنيوية وأخروية اذ ما كان عوام المؤمنين يثقون بها لولا هذا الامتحان، حيث كان لسان حالهم يقول: ربما يقولون: ليغرروا بنا ويخدعوننا. ويرتاب خواص المؤمنين ويقولون ربما يعملون هكذا وصولاً الى مقامات معينة، وكسباً لثقة الناس بهم

ونيلاً للاعجاب، كمـا يفعله بعض أهل المقامات المعنوية. وعندئذ لا يثقـون بالخدمة. ولكن بعد الابتـلاء، اضطر حتي اعتي عنيد مرتاب الى التسليم بالامـر. لذا إن كانت فمشقـتكم ان واحدة فان ربحكم ألف أن شاء الله.

فوائد المدرسة اليوسفية

• نعم ان في تحويل العناية الالهية مغارات عهد الشباب – الذي لم يكن له اعداء شرسون – الى ردهات السجن المنفرد،ثلاث حكم وثلاث فوائد مهمة لخدمة النوري:

الحكمة والفائدة الاولى

اجتمـاع طلاب النور في هذا الوقت دون ان يتضرر منهم أحد انما يـكون فـي «المدرسة اليوسفـية» حيث ان اللقـاء فيمـا بينهم في الخارج قد يثير الشبهة ويحـتاج الى مصاريف، اذ كان بعضهم ينفق حوالي خمـسين ليرة لأجل لقائي مدة لا تزيد عن عشرين دقيقة، او كان يرجع دون ان يتمكن من مقابلتي. لذا فأذا اتحمل ضيق السـجن بل أتقبله مسروراً لاجـل اللقاء عن قرب مع بعض اخوتي الأوفـياء، فالسجن بالنسبة لنا اذن نعمة ورحـمة.

الحكمة والفائدة الثانية

انه لا بد من الاعلان والتبليغ في كل جهة في وقتنا هذا عن خدمة الايمان برسائل النور، ولفت انظار المحتاجين اليها في كل مكان. فدخولنا السجون يلفت الأنظار الى الرسائل، فيكون اذن بمثابة اعلان عنها، فيجدها أعتى المعاندين والمحتاجين فتكسر بها شوكة عنادهم وينقذون بها ايمانهم، وينجون من المهالك، وتتوسع دائرة مدارس النور.

الحكمة والفائدة الثالثة

ان طلاب النور الذين دخلوا السجن يتعرف كل منهم على احوال الاخر، ويتعلم كل منهم من الاخر السجايا الحميدة والاخلاص والتضحية، فلا يبالون بعدئذ بالمنافع الدنيوية في الخدمة النورية.

نعم انهم يوفقون بالظفر بالاخلاص الكامل لما يجدون ويرون من امارات كثيرة تدل على ان كل ضيق ومشقة في المدرسة اليوسفية لهاعشرة اضعافها من الفوائد المعنوية والمادية، ومن النتائج اللطيفة، ومن الخدمات الواسعة الخالصة للايمان، بل قد تصل الى مئة ضعف، وعندئذ لا يتنازلون لكسب المنافع الخاصة الجزئية.

تأسوا بالائمة العظام

• ما دام الامام الاعظم «ابو حنيفة النعمان» وامثاله من الائمة المجتهدين قد اوذوا بالسجن وتحملوا عذابه، وان الامام احمد بن حنبل وامثاله من المجاهدين العظام قد عذّبوا كثيراً لاجل مسألة واحدة من مسائل القرآن الكريم. وقد ثبت الجميع امام تلك المحن القاسية وكانوا في قمة الصبر والجلد، فلم يُبد احدهم الضجر والشكوى، ولم يتراجع عن مسألته التي قالها. وكذا علماء عظام كثيرون وأئمة عديدون لم يتزلزلوا قط امام الآلام والاذى الذي نزل بهم، بل صبروا شاكرين لله تعالى، مع أن البلاء الذي نزل بهم كان أشدّ مما هو نازل بكم، فلابد أن في اعناقكم دَين الشكر لله تبارك وتعالى شكراً جزيلاً على ما تتحملونه من العذاب القليل والمشقة اليسيرة النازلة بكم في سبيل حقائق عديدة للقرآن الكريم مع الثواب الجزيل والاجر العميم.

ميزان تحري الاسباب وراء كل حادثة

• انني افكر في هذه المصيبة التي حلت بنا، جانبَ القدر الالهي، فاجد مصاعبي تتلاشى وتتحول الى رحمة إلهية.

نعم! كما هو موضح في «رسالة القدر» ان في كل حادثة سببين اثنين:

الاول : سبب ظاهري، يحكم الناس على وفقه، وكثيراً ما يظلمون.

والآخر: سبب حقيقي ،يقضي القدر الالهي على وفقه، فيعدل - تحت ظلم البشر- في الحادثة نفسها.

مثال ذلك : يلقى احد الاشخاص في السجن بتهمة سرقة لم يرتكبها. ولكن يقضي القدر الإلهي عليه بسجنه لجناية له خفية، فيعدل من خلال ظلم البشر نفسه.

ففي قضيتنا هذه، والامتحان العسير الذي دخلنا فيه لاجل تمييز الالماس من قطع زجاجية تافهة، وفرز الصدّيقين الفدائيين من المترددين المرتابين، وتمحيص الخالصين المخلصين ممن لايدعون انانيتهم ومصالحهم الشخصية.. هذا الامتحان العسير الذي دخلناه ينطوي على سببين:

الأول: خدمة الدين خدمة فائقة، من خلال تساند وترابط واخلاص قوي ، حتى أثار حفيظة اهل الدنيا والسياسة، وقد نظر البشر الى هذا السبب فظلمنَا.

الثاني: لمّا لم يبين كل منا اخلاصاً تاماً، ولا أظهر تسانداً كاملاً ولا اهلية تستحقها الخدمة المقدسة، نظر القدر الإلهي الى هذا السبب، وعدل في حقنا. فهذا القدر الإلهي هو رحمة إلهية بحقنا في عين العدالة نفسها. اذ جمع في مجلس واحد اخوة مشتاق بعضهم الى بعض وبدّل المصاعب الى عبادات، وحوّل الاموال الضائعة الى صدقات، واستقطب الانظار الى الرسائل المستنسخة. وافهمنا ان اموال الدنيا واولادها، وراحة الانسان فيها امور مؤقتة زائلة، وانه سيدعها حتماً ماضياً الى التراب، فلا داعي لان يفسد آخرته لاجلها، بل ليتعود علىٰ الصبر والتحمل، وان يكون قدوة حسنة ورائداً بطلاً بل اماماً لاخوانه في المستقبل.. وما شابهها من النواحي الاخرى التي كلها رحمة إلهية محضة.

بيد ان هناك جهة واحدة فقط تشغل فكري وهي: ان القلب والروح سينشغلان بجروح ما المّ بنا من مصاعب ومضايقات في حياتنا التي دخلناها والتي هي بحكم الضرورة، مثلما يترك العقل والقلب والعين وظائفها المهمة اذا ما جرح اصبع من الانسان، فتنشغل تلك الجوارح بذلك الجرح.

المنبع الثر للسلوان

- اخواني الاوفياء الصادقين!

ان لقاء الاصدقاء ومجالسة الاخوان منبع ثرٌ للسلوان لما يعاني منه الانسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا، ومن زوالها وفسادها، ومن فنائها وفناء متعها التي لا تجدي شيئاً، ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالانسان ..

نعم! قد يقطع انسان مسافة عشرين يوماً ويصرف مئة ليرة لاجل لقاء اخيه لساعات معدودة.

ففي هذا الزمان الذي قلما يوجد فيه صديق صدوق، لاتعد هذه المشقات والمصاعب التي نزلت بنا مع ضياع الاموال ذات اهمية تذكر ازاء رؤية اربعين او خمسين من الاصدقاء الصادقين والاخوة المخلصين دفعة واحدة طوال شهرين من الزمان، ومجالستهم ومحاورتهم في سبيل الله، والتسلي بهم وتسليتهم تسلية حقيقية.

فانا شخصياً كنت ارضى بهذه المصاعب والمشقات رجاء رؤية واحد من اخوتي فحسب بعد فراقي لهم عشر سنوات.

اعلموا ان الشكوى اعتراض على القدر والشكر تسليم له.

ثقوا يا اخواني؛ انه لو حضر الأجل الآن، وتوفيت، لاستقبلته

براحة قلب وانشراح صدر، لانني على قناعة تامة من ان فيكم «سعيدين» كثيرين شبان أقوياء ثابتين سيتولون القيام بمهمة (رسائل النور) والدفاع عنها وحمايتها ووراثتها، أفضل بكثير من هذا (السعيد) الضعيف العجوز العاجز المريض

ورطة المتدينين

• ان هذا العصر العجيب الذي اثقل كاهل الانسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردها، وحوّل حاجاته غير الضرورية الى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً، ومن التمسك بعادات محكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الاعظم للانسان في كل وقت.

فهذا العصر العجيب اسدل بهذه الامور حجاباً دون الحياة الدينية والاخروية والابدية، او في الاقل جعلها امراً ثانوياً او ثالثياً بالنسبة له. لذا جوزي الانسان على خطئه هذا بلطمة قوية شديدة حوّلت دنياه جحيماً لا تطاق.

وهكذا يتورط المتدينون ايضاً في هذه المصيبة الرهيبة، ولا يشعر قسم منهم أنهم قد وقعوا في الورطة. واذكر مثالاً:

رأيت عدداً من الاشخاص يرغبون في الدين ويحبون ان يقيموا اوامره كي يوفقوا في حياتهم الدنيوية ويفلحوا في اعمالهم. حتى ان منهم من يطلب الطريقة الصوفية لاجل ما فيها من كرامات وكشفيات. بمعنى انه يجعل رغبته في الآخرة تكأة ومرتبة سلم للوصول الى أمور دنيوية، ولا يعلم هذا ان الحقائق الدينية التي هي اساس السعادة الدنيوية كما هي أساس السعادة الاخروية، لا تكون فوائدها الدنيوية الاّ مرجحة ومشوقة، فلو ارتقت تلك الفائدة الى مرتبة العلة لعمل البر، فانها تبطله، وفي الاقل يفسد اخلاصه، ويذهب ثوابه.

ان أفضل منقذ – ثبت بالتجربة – من ظلم هذا العصر المريض الغادر المشؤوم ومن ظلماته الدامسة؛ هو النور الذي تشعه (رسائل النور) بموازينها الدقيقة وموازناتها السديدة. يشهد على صدق هذا اربعون ألف شاهد.

بمعنى ان القريبين من دائرة (رسائل النور) ان لم يدخلوها، فهناك احتمال قوي لهلاكهم.

نعم! ان هذا العصر قد جعل حتى المسلمين يستحبون الحياة الدنيا ويرجحونها على الاخرة على علم منهم ورغبة فيهم، كما تشير اليه الآية الكريمة: ﴿يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾

حذار من شياطين الانس

- اخواني الاوفياء المخلصين!

لقد تحتم علينا بدرجة الوجوب استعمال دساتير لمعة الاخلاص وسر الاخلاص الحقيقي فيما بيننا وتجاه بعضنا البعض الاخر، ما استطعنا الى ذلك سبيلاً، وبكل ما نملك من قوة. اذ علمت بخبر يقيني انه قد عيّن ثلاثة اشخاص، منذ ثلاثة شهور، ليلقوا الفتور فيما بين الاخوة الاوفياء هنا بإلقاء اختلاف الافكار والمشارب فيما بينهم، مستغلين تثبيط الاقوياء، وبث الشبهات والاوهام والخوف في قلوب الرقيقين منهم، القليلي الصبر والتحمل، لجعلهم يتخلون عن القيام بخدمة النور ليمددوا مدة محاكمتنا دون سبب.

فحذار.. حذار! واياكم ان تهتز تلك المحبة الصميمية الصادقة التي ربطت قلوبكم، اذ ان اهتزازاً طفيفاً في الاخوة والمحبة بقدر ذرة واحدة تضرنا ايّما ضرر. لان بعض علماء الدين في « دنيزلي » قد ابتعدوا عنا بسبب ترعزع طفيف ونحن نضحي بأرواحنا رخيصة في

سبيل اخوتنا ان استوجب الامر، وهذا ما تقتضيه خدمتنا القرآنية والايمانية. لذا فلا يضجرنّ احد من الآخر مما يسببه توتر الاعصاب الناجم عن الضيق الشديد ومن اي سبب اخر، بل ليسعَ كل منكم بزيادة محبته لاخيه وزيادة صميميته واخلاصه له وليحمّل نفسه التقصير بكمال التواضع والتسليم، والا سوف نتضرر عظيم الضرر، اذ تصبح الحبة الصغيرة قبة عظيمة تستعصى على الاصلاح. اختصر الكلام هنا محيلاً الموضوع الى فراستكم.

احذرو الغش في تجارة الافكار

• الذين يرون نفعهم في اضرار الناس، وبذائتهم في هزال الاخرين.. والذين يفسرون الأمور دون محاكمة عقلية عادلة، ويطلقون المعاني جزافاً.. واذ ترى احدهم لا يكبح جماحه للثأر، ولا يضحي بغرضه الشخصي، اذا به يدّعي بغرور فداء روحه للأمة!!

• اروني مفسداً يقول انا مفسد، وماهو الاّ انه يتراءى في صورة الحق، او يرى الباطل حقاً.

نعم! ما من احد يقول:

مخيضي حامض.. فلا تأخذوا شيئاً الاّ بعد امراره على المحك، لان أقوالاً مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الافكار.. حتى كلامي أنا لاتأخذوه على علاته - بحسن ظنكم - من انه صادر مني ، فقد اكون مفسداً، او أفسد من حيث لا أشعر.

فعلى هذا تيقظوا! ولاتفتحوا الطريق الى القلب لكل طارق. فيلظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فان ظهر انه ذهب فارسلوه الى القلب، واحفظوه هناك، وان ظهر انه نحاس فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء عليّ وردوه خائباً اليّ.

مرض العصر

• يا اخوتي الاعزاء!

• ان أول ما نوصيكم واخره؛ الحفاظ على وشائج تساندكم، وتجنب الانانية والغرور والحسد والمزاحمة. عليكم النفور من هذه الامور مع التحلي بضبط النفس والاخذ بالحذر.

• في خضم التيارات الرهيبة والحوادث المزلزلة للحياة والعالم ؛ ينبغي ان يكون الانسان على ثبات وصلابة لاتحد بحدود، وضبط للنفس لانهاية له، واستعداد للتضحية لا منتهي لها.

ان تفضيل ـ المؤمنين ـ الحياة الدنيا على الاخرة مع ايمانهم بالاخرة ومعرفتها حق المعرفة ، وترجيح قطع زجاجية تافهة على الالماس الثمين مع معرفة وعلم بها ورغبة فيها، وذلك بسيطرة دوافع الحس العمياء التي لاتبصر العقبى، وترجيح لذة آنية حاضرة على رطل من لذات صافية آجلة.. ان هذا مرض مخيف اصاب هذا العصر بل هو مصيبة من مصائبه، وبلية من بلاياه، وهو مضمون اشارة الاية الكريمة: ﴿ يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ﴾

دسيستان شيطانيتان

● ان دسيسة مهمة للشيطان هي: دفع الانسان الى عدم الاعتراف بتقصيره كي يسدّ عليه طريق الاستغفار والاستعاذة، مثيراً فيه انانية النفس لتدافع كالمحامي عن ذاتها وتنزّهها عن كل نقص.

نعم. ان نفساً تصغي الى الشيطان لا ترغب في ان تنظر الى تقصيرها وعيوبها، حتى اذا رأتها فانها تؤولها بتأويلات عدة فتنظر الى ذاتها واعمالها بعين الرضا، كما قال الشاعر: «وعين الرضا عن كل عيب كليلة» فلا ترى عيباً، لذا لا تعترف بتقصيرها، ومن ثم فلا تستغفر الله ولا تستعيذ به فتكون اضحوكة للشيطان. كيف يوثق بهذه النفس الامارة بالسوء ويُعتمد عليها، وقد ذكرها القرآن الكريم

بلسان نبيّ عظيم يوسف عليه السلام : ﴿ وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي... ﴾ فمن يتهم نفسه يرى عيوبها وتقصيرها، ومن اعترف بتقصير نفسه يستغفر ربه، ومن يستغفر ربه يستعذ به من الشيطان الرجيم وعندها ينجو من شروره.. وانه لتقصير اكبر ألاّ يرى الانسان تقصيره، وانه لنقص اعظم كذلك ألاّ يعترف نقصه، ومن يرى عيبه وتقصيره فقد انتفى عنه العيب، حتى اذا ما اعترف يصبح مستحقاً للعفو.

* ان ما يفسد الحياة الاجتماعية للانسان هي الدسيسة الشيطانية الاتية:

١ انه يحجب بسيئة واحدة للمؤمن جميع حسناته. فالذين يلقون السمع الى هذا الكيد الشيطاني من غير المنصفين يعادون المؤمن. بينما الله سبحانه وتعالى عندما يزن اعمال المكلفين بميزانه الاكبر وبعدالته المطلقة يوم الحشر فانه يحكم من حيث رجحان الحسنات او السيئات. وقد يمحو بحسنة واحدة ويذهب ذنوباً كثيرة، حيث ان ارتكاب السيئات والآثام سهل ويسير ووسائلها كثيرة. فينبغي اذن التعامل في هذه الدنيا والقياس بمثل ميزان العدل الالهي، فان كانت حسنات شخص اكثر من سيئاته كميةً او نوعية فانه يستحق

المحبة والاحترام. وربما يُنظر الى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة.

غير ان الانسان ينسى، بتلقين من الشيطان، وبما يكمن من الظلم في جبلته، مئات من حسنات اخيه المؤمن لاجل سيئة واحدة بدرت منه فيبدأ بمعاداته ويدخل في الآثام. فكما ان وضع جناح ذبابة امام العين مباشرة يحجب رؤية جبل شاهق، فالحقد كذلك يجعل السيئة — التي هي بحجم جناح الذبابة — تحجب رؤية حسنات كالجبل الشامخ، فينسى الانسانُ حينذاك ذكر الحسنات ويبدأ بعداء لأخيه المؤمن، ويصبح عضواً فاسداً وآلة تدمير في حياة المؤمنين الاجتماعية.

ظن المألوف معلوماً

• (اعلم): ان من اعمّ اسباب ضلالة فكر البشر: ظنّ المألوف معلوماً، مع ان الألفة تتضمن الجهل المركب، فبحكم الالفة لا يتأملون في العاديات المستمرة مع انها كلهاخوارق معجزات القدرة، وما يمعنون النظر الا في ما فوق العاديات من نوع التجليات السيالة، كمن لا ينظر من مجموع البحر — مع ما في بطنه من الحيوانات — الا

الى تموجاته بالهواء وتلألئه بشعاعات الشمس. فيستدل بهذين الحالتين فقط على عظمة مالك البحر وصانعه جل جلاله.

الجهل المركب

• (اعلم): ان اكثر معلومات البشر الارضية ومسلّماته، بل بديهياته مبنية على الألفة، وهي مفروشة على الجهل المركب. ففي الاساس فساد اي فساد. فلهذا السر توجّه الآيات انظار البشر الى العاديات المألوفة، وتشقب نجوم القرآن حجاب الالفة ويأخذ باذن البشر ويميل رأسه، ويريه ما تحت الالفة من خوارق العادات في عين العاديات.

• إن العالم المرشد ينبغي ان يكون كالشاة، لا كالطير؛ فالشاة تطعم بَهْمَتها اللبن، والطير تلقم فراخها القيئ.

• اذا لم تكن للفكر غاية ومثل اعلى، اونُسيتْ تلك الغاية، او تنوسيَت، تحولت الاذهان الى' انا الافراد ودارت حولها.

* * *

الفهرس

خدمة الايمان أجلّ وظيفة:

ما رسائل النور؟

مهمة الفرد في الجماعة:

قراءة رسائل النور:

قواعد وموازين:

في الخلاف والاعتراض:

المحن محك الصادقين:

دسائس: